

صَيَّا الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ

من

وساوس الجرفادقاني

تأليف

عبد الحميد الشامي

خليفة المرشد الروحي للطريقة الاحمدية الكنتانية

الحافظ المحدث الشيخ سيدي محمد الباقر بن شيخ

مشايخ الاسلام وخاتمة الائمة الحفاظ الاعلام

مؤسس الطريقة الكنتانية وزعيم المغرب الاقصى

أبي الفيض الشيخ سيدي محمد الكنتاني

الادريسي الحسني قدس سره العالي

وهورد على الفكرة المبثوثة في تضاعيف مؤلفات الجرفادقاني

كبير دعاة البهائية ، ومؤداها : إنكار المعاد الجسماني

وبطلان تحقق الجنة والنار

تصحیح

نرجو حضرات القراء تصحیح نسخهم علی ما یأتی :

ص	س	خطأ	صواب
۱ عرض	۷	و صود ف	و تصادف
۱ عرض	۱۳	مستغراد	مستجراد
۲	۱۵	تسمیة	تسمیة
۴	۵	فاطلقت	فاطلقت
۵	۸	فالتفتا إلى بعضهما	فالتفت بعضهما إلى بعض
۵	۱۶	تغیر	تغیر
۶	۷	مخالیه	مخالیه
۷	۵	أخیه	أخوه
۷	۱۰	الحزامة	الحزم
۷	۱۴	أهواهم	أهواهم
۸	۴	اخطوه	اخطه
۸	۵	مزا عمهم	مزا عمه
۱۱	۱۵	ویرتلون ألواح	ویرتلون ألواح البهاء
۱۱	۱۷	البهاء أو ألوا	أو ألوا
۶۸	۱۸	کثیرة بما معناه	کثیرة

تقديم الكتاب

(بقلم)

الحافظ المحدث الشيخ سيدي محمد الباقر بن شيخ مشايخ الاسلام وفتاىمة
الأئمة الحفاظ الاعلام مؤسس الطريقة الكتانية وزعيم المغرب الأقصى
أبي الفيض الشيخ سيدي محمد الكتاني الادريسي الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

(حمداً) لمن شرف أهل العلم بالمنافحة عن راية الاسلام التي لا تنعكس ،
وأهلهم لصيانة آياته التي لا تنطمس ، وما سلكهم زمام البلاغة ، وأجلسهم
على ذروة الفصاحة ، فأشادوا بأنواع كماله الباهرة ، وقاموا بنشر
ذخائره الفاخرة . (أحمد) على ما أولاهم من نعمه المتواترة وأشكره
على ما وهبهم من منته المتكاثرة (وأشهد) أنه الله الذي لا إله إلا هو
أهل من أراد السعادة وأردى في مهاوى الخسران من كتب عليه الشقاوة
(وأشهد) أن سيدنا محمداً خاتم النبوة والرسالة ، المرسل بالهدى
ودين الحق ليحذر الناس من طرق الضلالة ، صلى الله وسلم عليه وعلى
آله وأصحابه الذين أعلى الله بهم كلمة الاسلام ، وجعلهم أقطاب العلوم
والمعارف ومصاييح الظلام

(أما بعد) فان الله تعالى توج الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بتاج الشرف والمجادة ، وألبسهم حلل التكريم والتعظيم وحلى السيادة ، وأطلعهم في سماء الهداية والارشاد بدوراً لامة ، وأبرزهم في مواكب السعادة والمهابة كواكب نيرة ساطعة . يقول عزت كلمته : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فقدم سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان إعلاء لمنزله القائمين بفريضته المقدسة وتنبيهاً على أنه ملاك الأمر كله .

وقد لعن سبحانه قوماً نبذوه وراء ظهورهم وألقوه في زوايا النسيان مذ قال : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ولقد عرف المسلمون في قرونهم الاولى تلك الفضيلة وهذا الجزاء فخارياً بكل ما أوتوه من حول وطول فرق الاسلام الضالة ، التي انتشرت بين أظهرهم انتشاراً كبيراً وأظهرت الاسلام بغير المظهر اللائق به ونسبت له ما هو منه براء وكدرت بياض وجهه النقي الطاهر ، وفهمت من كتابه الحكيم وسنة رسوله الرؤوف الرحيم ، ما هو خارج عن قوالب البلاغة ، واستنبطت منه

ما لاجحة لها عليه ، حتى كادت أن تجعل حجاباً بين المسلمين وبين حقائق شريعتهم السمحة وتقضى على معالمها المقدسة ، لولا أن قيضهم المولى سبحانه ، للدفاع عنها بالأدلة الصحيحة والبراهين الصريحة ليظهر مصداق قوله سبحانه إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

ولقد سبق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن حذر أمته من تلك الفرق الضالة وأخبرها بأنها في النار وبئس المصير ، فيما أخرجه الحفاظ أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في السنن والحاكم في المستدرک وابن حبان في صحيحه وابن أبي الدنيا وابن الجوزي في التلخيص وابن النجار رحمت الله عليهم واللفظ للترمذي في كتاب الايمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (إن بني اسرائيل افترقت على اثنين وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي قال من كان علي ما أنا عليه وأصحابي) .

ولقد كان خطر تلك الفرق الضالة التي أوصلها العلماء إلى اثنين وسبعين كما أخبر صلى الله عليه وسلم وأفصحوا عن منازع أهلها ومشاربهم أشد وأهول من خطر الكفار الذين حاربوا الاسلام في مختلف عصوره ، ولا زالوا يحاربونه بشتى أنواع المكائد والحيل ، لأن المسلمين

منذ كانوا وهم على يقين تام من دسائس دهاة الكفر وأشياء الجهل ،
وأما أولئك فقد ذروا الرماد في أعين ضعفاء الأحلام والنهي لكثرة
تليساتهم وتنوع حيلهم حتى أوقعوا الاسلام في حروب طاحنة وفتن
مدلهمة والأمر لله .

وان الاسلام اليوم لينتظر بفارغ الصبر ، من علمائه المخلصين
أن يقوموا قومة رجل واحد ضد فرقة البهائية الضالة التي انتهزت
فرصة الضعف الذي أصاب الاسلام منذ مأساة الأندلس ، فأست
ديانة مستقلة وشرعية خاصة مخالفة للديانة الاسلامية على خط منحرف
وقامت تدعوا إليها مريدة بذلك نحو تعاليمه السامية ، وتشتيت وحدته
الدينية . كما فعل سلفهم الصالح مع فرق زمانهم ، بل يريد منهم مضاعفة
نشاطهم بصورة زائدة نظراً لخطورة الموقف ، وضربهم في ميدان
الكفر والالحاد بسهم وافر ، ويتعاونوا في انتشال المسلمين الذين
وقعوا في شبكتهم من وهدة الكفر والضلال ، ولهم من الله سبحانه
الجزاء الأولي ، ومقعد هدى عند ما يك مقتدر . وإن خليفتنا
بالديار المصرية نابغة العصر ذكاء وتبلاً وعلماً الشهم الهام الأستاذ
المحترم أبا العزم السيد عبد الحميد افندى الشيمى قد قام بواجبه في هذا
الباب أحسن قيام بإصداره كتابه صيانة العقل الانساني من وساوس

الجر فادقانى) وهو حسبها تصفحت أكثر من خمسين صفحة منه ،
صحيح المعانى مؤسس الأصول والمباني ، ذو دلائل ظاهرة ، وألفاظ
باهرة ، فتالله لقد حمى به حمى الاسلام ، ونبه المسلمين لما ألصقه
بدينهم البلاء اللئام ، فجزاه الله عن الدين الاسلامى خيراً وبارك في
عمره وزاد في حسه ومعناه .

وإني أرى أن هذا الخطر العظيم ، كغيره من الأخطار الجسيمة ، التي
أصابت الاسلام في الصميم ، منشأه أمران : أولهما عدم قيام أمراء
المسلمين وعلمائهم بمهام التعليم ، وإرشاد العامة كما يتطلبه منهم دينهم ،
كى تؤسس العقائد على أصول ثابتة ودعائم متينة ، فلا تنال منها
الزوابع وإن كانت شديدة الوطأة ، ثانياً تربية أبناء المسلمين في غير
المدارس الاسلامية وإلقاء بذور الشك ، بل والشرك في نفوسهم من
عهد النشأة فتفسد عقائدهم القرآنية من حيث لا يشعرون ، ويكونون على
جانب كبير من الخطر والعياذ بالله

وإني لأدعو جامعة الأمم العربية المتحدة بعد إهدائها تحياتي
القلبية المشفوعة بتقديرى لأعمالها العظيمة التي تؤديها للاسلام والمسلمين
في كل فرصة سنحت لها أن تضع هذه المسألة في قائمة برنامجهما الحافل
وتعيرها أهمية كبرى ، وتفكر في الوسائل التي تستأصل بها جرثومة

أولئك الأندال ، وما ذلك على هممتها ببعيد .

أخرج الحفاظ أحمد في المسند ومسلم في الصحيح والترمذي في الجامع وابن ماجه في السنن والحاكم في المستدرک رحمات الله عليهم واللفظ له عن ثوبان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » . والسلام ختام .

خادم العلم والحديث والطريقة الكتانية
محمد الباقر بن الشيخ محمد الكتاني
كان الله له ولياً ونصيراً آمين

« سلا المغرب الأقصى »
١٠ رمضان سنة ١٣٦٥
هجريّة

صورة

الاستاذ الفقيه الحافظ المحدث السيد محمد الباقر الكتاني
المرشد الروحي للطريقة الاحمدية الكتانية
المؤسسة على الكتاب والسنة والاجماع
والقياس المستجمع للشرائط، كما نصص على ذلك شيخها الاكبر
في مؤلفاته العديدة القيصة





(صورة المؤلف)

صَيَانَةُ الْعَقْلِ الْأَلَسِيَّةِ

وَسَاوَسُ الْجُرْفَادِ قَالِي

تَأَلِيفُ

عَلِيٍّ مَحْمُودٍ الشَّيْخِيِّ

خليفة المرشد الروحي للطريقة الأحمدية الكنتانية
الحافظ المحدث الشيخ سيدي محمد الباهر بن شيخ
مشايخ الاسلام وحائمة الأئمة الحفاظ الاعلام
مؤسس الطريقة الكنتانية وزعيم المغرب الأقصى
أبي الفيض الشيخ سيدي محمد الكنتاني
الأديب الحسني قدس سره العالي

وهو رد على الفكرة المبتوثة في تضاعيف مؤلفات الجرفاد قالي
كبير دعاة البهائية ، ومؤداهما : إنكار المعاد الجسماني
وبطلان تحقق الجنة والنار

(طبع بنطبعة الفنون الأدبية بشارع الشيخ قمر رقم ٢٤ بالسكاكيني)

obeykandi.com

هو

المعين المغنى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خير ما طلب به استفتاح الكلام واستتجاح المرام ، وصلى الله على سيد الانام محمد وآله وأصحابه الطيبين الكرام . (وبعد)
فهذا نقد علمي تساوقت فيه صليب معتقد طائفة البهائية على اختلاف فرقها بالبحث والتحليل خدمة للعلم وحفظاً لسياج الدين ، وحرصاً على عقائد المسلمين ، حتى لا يتسرب إليها الباطل ولا يختلط عليهم الحابل بالنابل ، فليست ثمة فتنة في الاسلام بأشد من هذه الفتنة ، ولا محنة ومقنا بها الايام بأكبر من هاته المحنة لاسيما أن دعاة هذه النحلة الخبيثة يفسادعون أهل الحنيفية فيزيون بزي المسلمين ، ويتظاهرون بأنهم من أهل الايمان واليقين حتى اجتذبوا إليهم بهذه الحيلة فئة من المؤمنين غير قليلة ، وبالله تأيد ومنه وحده العون والمدد ؟

(مقدمة)

في البهائية وأغراضها

بالبحث والاستقراء والتتبع علم أن الفرق الضالة ، التي تشعبت وظهرت في المسلمين منذ عهد الصحابة حتى الآن ، تنقسم إلى نوعين ، نوع ضل عن خطأ في البحث ولم يكن من غرضه إفساد الاسلام ، وهذا النوع تجد لأصحابه مؤلفات في الأصول والفروع على قواعدهم ، ونوع غرضه إفساد الاسلام ، وهذا النوع ليس له أصول ولا فروع ولا قواعد ولا غيره مما يستتبعه البحث العلى كالباطنية والقاديانية البهائية .

مثال ذلك أن الشيعة الإمامية من فرق الاسلام ، لها مؤلفات في الفروع ولها قواعد في الأصول تمشي عليها ، وكذلك المعتزلة وغيرهم فمؤلاة فرق إسلامية لم تخرج عن حظيرة الاسلام بضالها ، بخلاف الباطنية فإنها فرقة ليس لها مذهب معروف الفروع ، ولا قواعد في الأصول ، وإنما تبحث وتجادل على أساس إفحام الخصم بأي طريق كان ، تارة عن طريق السنة والقرآن إن كان خصمها مسلماً ، وتارة عن طريق غير ذلك إذا كان الخصم غير مسلم ، فمؤلاة ليسوا من

من الاسلام ولا من غيره من الاديان في شيء .

وما يفهمه دعاة البهائية من آي القرآن خليق بأن يسطر

في عداد الملح والنوادر ، فهم يزعمون — وكل زعمهم باطل — أن
البشارات الواردة في الكتب السماوية من لدن آدم أول الانبياء إلى
خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، تؤيد أن البهاء هو الرب القادر
وأن يوم القيامة ويوم الحسرة ، ويوم التلاق ، ويوم الرب ، ويوم
الملكوت ، والساعة الواردات في الكتب المنزلة هي يوم ظهور البهاء
من عكاه ، وبذلك قد حملوا تلك الآيات الشريفة على غير المراد منها
قطعا ، ليتخذوها دليلا على أن الكتب السماوية ناطقة برؤية لآلهم .
وقصد البهائية من وضع تعاليمهم نحو الاسلام وإزالة سلطانه

من الارض ، مترسمين في ذلك الخطط التي وضعها بعض مجوس
الفرس لما فتح المسلمون بلادهم وأزالوا ملكهم ، وهم يتفقون مع
ملاحدة الطبيعيين في أصل الاعتقاد ويفارقونهم في سبيل الدعوة إليه
لأن أولئك يبشرون إلحادهم رجاء تقويض الديانات فقط وهؤلاء
يدعون إلى غيهم بغية التسلط على الشعوب باسم الزعامة الدينية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ديانة البهاء ديانة مستقلة وشرعية خاصة

به مخالفة للديانة الاسلامية على خط منحرف ولن تشابهها في حكم من

الاحكام مطلقاً بل هي على طرفي نقيض مع الاحكام القرآنية والاحاديث النبوية الصحيحة ، ولا عبرة بما تقول البهائية من احترامهم القرآن والاحاديث لأنها تأخذ شذرات منها وتؤولها على حسب مشاربها ومزاعمها وتحتج بها على المسلمين وتجعلها كأها مبشرة بالبهاء وتطليها على بسطاء العقول والسذج كما يتضح ذلك بأدنى تأمل ، والله يقول الحق . وهو يهدي السبيل ؟

الحمد لله
عبد الحميد
مؤسس

دار نشر الثقافة العربية الإسلامية

٢٤ ش الشيخ قمر بالسكاكيني

عرض سريع

لتاريخ الحركة البهائية من عهد « الباب » حتى عهد زعيمها الحالي

(شوقي رباني)

كان في مدينة « شیراز » رجل اسمه الميرزا رضى البزاز ، رزقه الله ولداً عام ١٨١٩ م (غرة محرم الحرام ١٢٣٥ هـ) سماه « على محمد » وانتقل إلى دار البقاء وولده في الثالثة من عمره ، فتعهد الطفل خاله الميرزا « سيد على » وكان مثرياً يتعاطى التجارة على نطاق واسع ، وصودف أن أسواق التجارة كسدت في شیراز فانتقل بآبى اخته إلى « بوشهر » ليشغل معه في التجارة حتى إذا برع فيها استقل بعماله وطفق يدرس العلوم الدينية واشتغل بالرياضة وتسخير روحانيات الكواكب حتى كان يقضى النهار بتمامه من شروق الشمس إلى غروبها فوق سطح المنزل تحت أشعتها المحرقة حاسر الرأس تالياً للأوراد منهمكا في الذاكرة والحرارة في (بوشهر) كالأخدود المستعر تبلغ نسبتها التقريرية ٢٤ درجة من مستغراد فاعترأه بسبب ذلك وجوم وذهول وحل به ضعف مستمر حط من قواه وهد من حوله ، وقد اتفق المؤرخون المحايدون على أنه عندما بلغ العشرين من عمره أصيب بمرض عقلي اضطره للهجرة إلى العراق لجاء

كربلاء ونزل ضيفاً على السيد كاظم الرشتي الجيلاني رئيس الكشفية فيها ،
ومذهب الكشفية هذا قام على أنقاض مذهب الشيخية الذي ظهر في
كربلاء بالعراق عام ١٢٤٠ هـ على يد الشيخ احمد زين الدين الاحسائي
وطريقته أنه كان يمزج التعاليم الاسلامية بالتصوف وبنسف من الآراء
الفلسفية ، وكان جو البلاد مشبعاً بروح التمرّد ضد نظام الحكم المتبع
وكانت عقلية ذلك الوسط تسخّج هضم فكرة رجوع المهدي في تلك
الآونة لما كان يدعيه الشيخ الاحسائي من أن المهدي كان قائماً في عالم روحاني
اسمه «جالبقاء» فكثّر عدد المدعين بالمهدوية وفي مقدمتهم الميرزا علي
محمد المذكور فقد بدأ في الرابعة والعشرين من عمره بنشر دعوته إلى
المهدوية وذلك عام ١٨٤٤ فادعى أنه (باب المهدي) وأنه المراد من
الحديث المشهور «أنا مدينة العلم وعلي بابها» مقررّاً أن الوصول إلى
الله تعالى محال إلا عن طريق النبوة كالبيت لا يتأتى دخوله إلا من
الباب ، وهو ذلك الباب الذي يدخل منه إلى البيت ، وهذا هو سبب
تسميته بالباب ، وأتباعه بالبابية ، وقد مكث على تقرير هذه الدعوة
ما شاء أن يمكث حتى نفر منه عقلاء تلاميذ الاحسائي والرشتي وكفره
أهل الحديث وعلماء الأصول ولكنه لم يعد من السذج وضعفاء
الآل باب من مال إليه واتبعه ، إذ قلما يدعو أحد الى شيء فلا يحجب

بالمرة .

ثم ارتقى في دعواه ونادى بدين جديد ناسخ لشريعة القرآن وما بين يديها من الشرائع ، لفقه من عناصر إسلامية ونصرانية ويهودية ووثنية ولقب نفسه (باب الدين) ثم ترك هذا اللقب وتلقب (بالنقطة) و (خالق الحق) مدعياً أنه ليس نبياً وإنما هو مشخص لله ، ولما كان رجوع بعض الأئمة السابقين وتابعيهم من الأصول الثابتة في مذهب الإمامية ، والتناسخ من اعتقاد طائفة الباطنية الذين تسلطوا في بلاد العجم مدة طويلة كان له بقايا في النفوس قام جماعة من أتباع الباب وادعى بعضهم أنه الحسن وبعضهم أنه الحسين وبعضهم أنه غيرهما من الأئمة وتابعيهم ، ولقرب هذه الاعتقادات من مذهب الطائفة الشيعية أتباع الشيخ الاحمائي لبي دعوة الباب كثير من أهالي بلاد العجم المتمذهبين بذلك المذهب الجديد .

فשמع عن ساعديه وأوحي ليد بكتابة كتاب البيان وادعى أنه عين محمد وأنه المشار إليه في قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان عليه البيان) فالإنسان هو محمد والبيان هو هذا الكتاب المنزل على الباب ، وكتابه هذا يحتوي على كثير من العربي المسجع وبعض الفارسي ، إلا أن العربي كان ملحوناً ، فلما سئل عن سبب وقوع اللحن في هذا الكتاب المنزل مع أن

اللعن نقص أجاب : ان الحروف والكلمات كانت قد عصت
واقترفت خطيئة في الزمن الأول فعوقبت على خطيئتها أن قيدت
بسلاسل الاعراب ، وبما أن بعثنا جاءت رحمة للعالمين قد حصل
العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات فاطلقت
من قيدها تذهب إلى حيث شاءت من وجوه اللحن والغلط .

وكان يكرر في تأليفه هذه العبارة : أنا أفضل من محمد كما ان قرآني
أفضل من قرآن محمد وإذا قال محمد بعجز البشر عن الاتيان بسورة من
سور القرآن فأنا أقول بعجز البشر عن الاتيان بحرف من حروف
قرآني ، إن محمداً كان بمقام الألف وأنا بمقام النقطه . وأخذ يدعو لدينه
ومن رفض كان يعدمه ، فلم يسع الحكومة إلا محاكمته والحكم
عليه بالاعدام رمياً بالرصاص ، فتم ذلك ورميت جثته في خندق
لأحدى القبلاع ، ولكن أتباعه المتهوسين ينفون قتله ويؤكدون
رؤيتهم إياه وهو يساعد إلى السماء بالرغم من أن لهم مدفناً باسمه في
طهران كما يزعمون نقلهم لبقاياهم إلى عكا في المزار المعروف باسمه هناك ،
وكان ضمن أتباعه أخوانه لأب . اسم كبيرهما يحيى ولقبه صبح
الأزل وأما الصغير فكان اسمه حسين ولقبه بهاء الله ، فحرضوا الأتباع
على قتل الشاه ، وأحدثوا يواذر ثورة فألقت الحكومة عليها القبض

وأودعتها السجن رهن المحاكمة فتدخل لصالحهما قنصل الروس . فنفيا واستقرا في بغداد وهناك اتفقا على أن يختفى صبح الأزل ليقول البهاء إن اللاهوت قد حل فيه ثم عرج إلى السماء ، وفعلا ادعى البهاء هذه الدعوى وحاول إثارة فتنة في العجم لصالح الروس فتداركت الحكومة العثمانية الأمر وألقت القبض على الأخوين ونفتهما بعيداً في مدينة (أدرنة) مع بعض أتباعها المرتدين عن الإسلام . وهناك لم يجدا أمامهما مجالاً للعمل فالتفتا إلى بعضهما وأخذتا يتعاركان ، وكان سلاح البهاء أمضى إذ أنكر أخاه قائلاً إنه صعد إلى السماء وليس الموجود إلا مدع ، وشمّر كل منهما عن ساعديه ورزأ العالم بكتاب وادعى كلاهما أنه موحى به من الله إليه لينسخ القرآن وما يسمونه بالبيان ، إلى غير ذلك مما افترياه على الله ، وكتباه بأيديهما الأثيمة بلا حياة من الله ، وقد نعت صبح أزل أخاه البهاء في « الواحه » بالعجل كما نعت البهاء في « أقدس » بالكافر والمشرک ، ثم أحست الدولة منها شراً ، وخشيت أن تلتهب بأرضها نيران الفتن ، لتجاوزهما المجادلة باللسان إلى المجادلة بالسنان ، فاتفقت وسفير الشاه في دار الخلافة على تغيير منفاهما ، والتفريق بينهما ، ففت صبح أزل وحزبه إلى جزيرة « قبرس » أو رودس ومسجنتهم بها في قلعة « ماغوسا » وجعلت عليهم رقباء من حزب البهاء يرصدون أعمالهم ويخبرون بها

الدولتين . ونفت البهاء وحزبه إلى عكاه . وسجنتهم في قلعتهما وبثت عليهم
من حزب الأزل عيوناً يرقبونهم كذلك . ثم انها أطلقت سراحهم بعد
بضعة أشهر وجعلتهم أحراراً في الذهاب والاياب يخالطون من أرادوا
إلا أن يغادر البهاء أو يصبح أزل منفاه . فشرعوا يدعون الناس إلى أفكها
وبهتانها هذا من عكاه وذاك من قبرس . إلا أن صوت عكاه كان أرفع
لأن البهاء أضعف جانب الأزل ، وقص أجنته واقتلع مخاليبه . ذلك
أنه أوعز إلى شياطينه أن يفتكوا بمن كانوا يرصدونهم في عكاه من الأزليين
وهم السنة الأزل وسواعده وأركانهم ودعائمه ، فأفترقوا عن آخرهم في
ليلة واحدة طعناً بالخراب وضرباً (بالشاطور) .

فتضعف لذلك شأن الأزل وخفت صوته وارتجت أركان دعوته ومات
بعد قليل ، فقوى أمر البهاء وانبسط سيطرته فطغى وبغى ، وادعى
المسيحية ، فالربوبية ، فالألوهية ، وزعم أنه المراد من قوله تعالى (وجاء
ربك والملاك صفواً) ومن قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في
ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور) .
فهو على زعمه الإله والرب ودعائه الملائكة . وقد ظل على هذه الدعوة
حتى خرجت شعله وروحه واضطربت جذوة آخرته باطفاء حياته
عام ١٨٩٤ م وهو في الخامسة والسبعين من عمره وخلفه ابنه الشيخ

عباس (أو عباس أفندي) بوصيته على قول وبالمرأوغة على قول آخر ،
والقائلون بالرأى الثانى يدعون أنه اليهاء جن فى أواخر أيامه وكان ابنه
يعمل كحاجب له فاستأثر بالأسر وأغدى أموالا على الجماعة فحب
فيه الاتباع وبالفعل أسموه (المعلم) ففضب لذلك أخيه وسعى ضده
لدى الحكومة فضيقت عليه حتى أعلن الدستور عام ١٩٠٨ فأطالقت
سراحه وتمكن من قضاء مدة كبيرة سائحا فى مصر وأوروبا وأمريكا
وما نشبت الحرب كان فى فلسطين وتخدم قضية الحاماه فأنعمت عليه
الحكومة الانكليزية برتبة فارس الأمبراطورية البريطانية مع لقب
سير ، وقد كان الرجل مشهورا بالدهاء والذكاء والحزم والخصافة ، لم
يغلبه إلا حب الدنيا فعمل لنيل أربه منها ولم يبال بما وراء ذلك من
العذاب الآليم ، وهو واسع الاطلاع على أخبار الزمان . وتقلبات
الملل والأديان . يخاطب أهل كل ملة ودين . بما يوافق مشاربهم
ويطابق مذاهبهم ويلائم أهوائهم ولا يخالف أذواقهم فتجده مسلما
مع المسلمين . ونصرانيا مع النصارى . ويهوديا مع اليهود . وبوذا مع
البوذية . وبرهميا مع البراهمة . وهكذا يوهم أهل كل ملة ودين بأنه منهم
وإنما يريد الإصلاح . وإزالة الضغائن المذهبية . والتوفيق بين أهل
المذاهب . ورأب ما صدعه الخلاف من أصول الدين وحقائقه .

والرجوع به إلى عهده الأول .

فاذا آنس جانب الضعف من أحد وعلم أنه تمكن من قابه . تهباً لدعوته من الطريق التي اختطوه لها . وهو التشكيك وإيراد الشبه . وتأويل الآيات بما ينطبق على مزاعمهم . ثم دعاه إلى عبادة البشر والعباد بالله وهذا هو شأن دعاة البهائية جميعاً في الشرق كله . وأما في أوروبا وأمريكا فدعوتهم جهرية لا يخشون حساباً ولا يخافون عقاباً .

فالتقية والخداع إنما هما في المشرق وعلى الخصوص بين المسلمين حتى إن كثيراً من دعائهم وعمداتهم يصلون الصلوات الخمس مع الجماعة ويظهرون الايمان ويبطنون الكفر ، وجملة القول إن هذا الرجل كان من كبار المضلين زعماء الفرق الهالكة بالتكبر عن صراط الايمان وادعاء انها عليه ، ليسلك سبيلها المريضة قلوبهم وصغار المدارك . وقد توفي وهو في السابعة والسبعين من عمره عام ١٩٢١ فخلفه بوصية منه أكبر أحفاده شوقي افندي رباني وهو أكبر أولاد (ضيائية خانم) أكبر بنات عبد البهاء . ووالده ميرزا هادي من أقرباء الباب وكان عمر شوقي افندي حينذاك لا يتجاوز خمسة وعشرين عاماً وكان شقيق جده ينازعه على الزعامة أو الألوهية ، وقد تربى شوقي افندي هذا تربية انكليزية مفضوحة ، والله الامر من قبل ومن بعد .

(كيفية ظهور البهائية في أمريكا)

بعد موت البهاء بمرحلة وجيزة كان في مصر رجل سورى مسيحي اسمه
(ابراهيم خير الله) وكان يشتغل بالترجمة والتجارة ثم اشتغل بالزراعة
وكان النحس ملازماً له في كل هذه الأحوال فتعرف أخيراً بالحاج
عبد الكريم الطهراني أحد عمدة البابية البهائية بمصر ومال إلى البابية
وتشاوراً ملياً في طريق خدمتها واتفقا أخيراً بأن يذهب ابراهيم إلى
نيويورك ويدعو الناس إلى دين البابية على أن يقوم الحاج عبد الكريم
بمصاريف السفر فبذل له الحاج عبد الكريم المال بعد استئذانه من
العباس وزوده بالتحاليم الجديدة فذهب الرجل وقام بأعباء أمر
الدعوة إذ كان ذلق اللسان قوى الجنان ثمالت إليه إحدى الغنيات من
العجائز الأمريكيات فشوقها لزيارة قبر البهاء وملاقة العباس بعكا
فسافرت الغنية إلى عكا ووثقت إيمانها هناك وتبرعت بخمسمائة ليرة
انكليزية لشيدبها قبر البهاء وعرجت في عودتها على مصر ومكثت فيها
ودحاً من الزمن ثم سافرت إلى بلدها وسعت مع ابراهيم بيتاً تعاليم
البهاء في الأمريكين ثمالت إليها عدد من اغنيائهم .

وعند ابراهيم اقبالهم هذا اقبالا على نفسه فطفق يستغلمهم
ويأخذ منهم الدنانير بكل اسم ورسم وهم بين يديه كالميت بين يدي

الفاصل ولما جمع وادخر نحو ثلاثة آلاف من الليرات ببلغ مسامع
الحاج عبد الكريم خبر هذه التجارة الجديدة الراجعة فطلب منه قسمته
فرفض ابراهيم المقاسمة فتمكن الحاج عبد الكريم من إصدار أمر له
من العباس بأن يسافر إلى أمريكا ويتأقش الرجل الحساب . ولما وصل
نيويورك وسمع ابراهيم بما كان من الخلاف بين العباس وأخيه اغتم
ذلك فرصة ثمينة لاختلاس النقود فأظهر التشيع لميرزا محمد علي وقام
يدعو الناس إلى الميرزا محمد علي فوقع الشغب بين البايية وأرسلت
الرسائل من الميرزا محمد علي لابراهيم وأظهر بها مساوئ العباس فانقسم
القوم إلى قسمين رلاح بذلك نجم سعد الحاج عبد الكريم إذ مال إليه
نفر من أغنياء البايين الأمريكيين وأخذ منهم بضعة آلاف من الليرات
لكي يستعين بها على تقوية أمر العباس فأخذها وعاد بها إلى القاهرة
ولما طاب له المقام بها رغب بغتة عن البايية ودينها وكفر بالباب
والبهاء والعباس ورجع إلى الاسلام وأخذ مع نجله محمد حسن يعددان
مساوئ البايية ويظهر ان قبائح أعمالهم إذ أنه من قدماء البايية ويعلم
منها ما ظهر وما بطن فقامت قيامة البايية وبذلوا كل مرتخص وغال
لكي يعدل الرجل عن تعداد المساوئ أو يسكت عنها على الأقل ولم
يزد الرجل إلا هياجاً ولما يتسوا منه أشاعوا أنه قد جن فمكث الرجل

مسلماً مع نجله بمصر حتى توفي وله من العمر نحو مائة سنة ، وكان انحراف العباس وإسلام الحاج عبد الكريم ضربة قوية على البهائية .
 حضر العباس على هذه الأحوال والأحوال زمناً ثم قام أخيراً يشير تمصّب رجل يدعى الميرزا حسن الخرسائي أحد عمّده البائية بمصر وطابع كتاب الدرر البهية على نفقته ويدفعه للسفر إلى أمريكا لرأب هذا الصدع فلبى الأمر بالطاعة والقبول وأخذ حسين روى ابن الحاج الملا على التبريزي مترجماً له وذهب إلى أمريكا ومكث هناك مدة وسعى أولاً بارجاع ابراهيم إلى العباس فلم ينجح في مسعاه فتشاغل برهة باظهار وإثبات تقديس العباس لدى محبيه بخاب ولم يفاج فقفل راجعاً إلى مصر وأصيب بالذهول ومكث مدة تحت المعالجة إلى أن مات . ثم أرسل العباس الميرزا أسد الله وعلى قلى خان ومؤلف الدرر البهية في جواب الأسئلة الهندية إلى شيكاغو لازاعة أمر الدعوة البائية وأسسوا هناك حديقة سموها بما معناه (عكا الخضراء) وصاروا يجتمعون فيها في أوقات معينة ويرتلون ألواح وينظمون بأقواله ، ولا يعتمد على ما يزعمون من أنهم أمالوا بضعة مئات البهائم أو ألوا من الأمريكيين لأن الحقيقة غير ذلك .

ومؤلف الدرر البهية هو ذلك الرجل « الخبيث » الميرزا فضل

الله الساوجي المكني نفسه تارة بأبي الفضائل السائح الجرفادقاني نزيل
بخساري ونزيل سمرقند ، وألف كتاب فصل الخطاب ، وآونة بأبي
الفضائل نزيل القاهرة المصرية وقد ألف فيها كتاب الدور البهية في
جواب الاسئلة الهندية ، وهو السائل فيه والمجيب .

ومعلوم أن تصوير المناظرات الخيالية واختلاق الاسئلة الوهمية
مع تعظيم الاجابة عليها بغية استدراج الضعفاء إلى الوثنية الفاجرة هو
دأب متطرفي الباطنية القدماء من اعداء الاسلام . ومن اماراتهم
أيضا انهم لا يقومون بدعاياتهم إلا تحت مستعار الكنى ومختلق
الالفاظ كما يفعل هذا الداعية الفاجر الكذاب .

فهو في كتابه هذا قد اخذ اخذهم . وحذى حذوهم . حذوك النعل
بالنعل . ولاغرا به فالرجل بهائي وداعية . أو مبلغ . وحسب اصطلاحهم ،
فله أن يكتب ما يريد . ويقول ما يشاء حسبما تملئ له بايته ، وتوحي اليه
بهائيته وهو رأس دعاة البهائا و اكرمهم عليه بعد آل بيته . حتى انهم
يروون عنه انه قال : « أبو الفضل منى بمنزلة بطرس الاكبر من
المسيح » ويزعمون كما يزعم هو ويزعم البهائا نفسه أن روح هذا الخوارى
الكريم تقمص به كما تقمص بالبهائا روح المسيح صلوات الله عليه .
ومن هذا تعلم مكانة الرجل لدى عشيرته ومقامه عند أهل دينه وملته

والواقع أن هذا الداعية الملعون من كبار شيوخ الاتحاد، وقد
بث في مؤلفاته من الأوهام والخيالات والشكوك في الأديان والمعتقدات
ما يفقد الصواب، ويذهب الآليات. ويهلك المرء الغافل والغر
الجاهل ومن المحقق أن هذا الطاغية، قد وضع كتابه الدنس النجس
ليكون لعقول البشر بمثابة مقذرة وسخة. وجعل أثنى ما فيها من
الأقذار تأليه البهائم، والسكتاب ينم عن مهارة مؤلفه في إيراد الدعوة
فهو يلبس لبوس النحفظ في سوقها. فيرسلها مصوغاً في قوالب التلميح
والتورية. منسوجة على مناسج التعريض والكناية. إلا أنه يشط
في بعض المواضع. وتخونه مهارته وتحفظه. فيندفع كالسيل الجارف
من التلويح والتلميح إلى التصريح والتوضيح. حتى لا شك ولا مرية
فيما يريد ويدعو إليه.

وقد سلك هذا الطاغية في كتابه المذكور مسلكاً شائناً أضحى به
الكتاب من أوقح كتب البهائية. وأوغلها في الزور والبهتان. والكفر
والإلحاد. والتفسيق بالأصل الدارويني. والحض على مبادئ هدم
الديانات وتقويضها.

ويفيض الكتاب أيضاً بمطاعن شديدة في علماء المسلمين. وأئمة
دينهم. وهداتهم إلى الله وقادتهم إلى الخير. فهو يرميهم بحجرة بالحسة

والدناءة . والجهل . والكفر والالحاد . إلى غير ذلك من فحش القول
وهجر الكلام مما يستحق عليه قطع فضضة اللسان مع بتر البنان .
وقد حمل فيه حملات شواء . وطمع بكلمات عوراء على عامة
الكتب المصنفة في شرح السنة وتفسير القرآن . بما لم يقله مجنون
ليهد بذلك طريقاً تسلكه دعوته . وتسرّب منه إجابته كما هو شأن دعاة
النحل النخيشة والآراء الفطيرة .

والبهائية التي يحمل لواثها الجرفادقاني الآخرق المبدار كالبابية مذبذبة
الأصول . مختلفة الأطوار لا تنتهي صراحة إلى أصل معين . فكلاهما
يقول : بنوّة بوذا و كيوكي و كونيوشوس وبرهمة وزردشت
وأمثالهم من فلاسفة الهند والصين وحكّاء الفرس الأولى .

والدفاع المنشور بمجلة « العصور » في العدد - ٢٦ - من المجلد الخامس
الصادر بتاريخ أكتوبر سنة ١٩٢٩ ص - ٥٢١ إلى ص - ٥٢٥ -
بقلم عبد الجليل بك سعد الذي كان قاضياً بالمحاكم الأهلية . ومناخاً عن
البابية والبهائية مما لا يعبأ به أهل العلم ، وهو دفاع عن محال لا يساويه
محال ، دفاع عن ضلالات ركبت من حروف الخرافات . فهو ساقط
لسقوط ما يدعوا إليه ويناضل عنه ، وهو من الضعف والوهن بحيث
إن نفخة واحدة تجعل عاليه سافله . وإلا فمن أية عقل يتنزل القول

بتأليه ذلك الرجل الانسى الذى وسم نفسه باسم (البهاء) ١١١٩ ومن
أية فلسفة يتأتى القول بأن البشارات الواردة فى الكتب المقدسة
السموية من لدن آدم أول الانبياء إلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم
تؤيد أن البهاء الذى كان يجوع ويشبع . ويبول ويغوط . ويمرض
ويصح . ويسجن ويطلق سراحه . وهو الآن الميت المقبور الذى يعالج
ما أعد له جزاء ما جنت يده هو الرب القادر وأن القيامة ويوم الحسرة
ويوم التلاقى ويوم الرب ويوم الملكوت والساعة الواردات فى
الكتب المقدسة هو يوم ظهور هذا الشيطان الحريد من عكاء كما يزعم
الجر فادقانى المتحوس ويتابعه عبد الجليل بك مستشار الأتباع ١١٢٠ لا شك
ولامرية فى أن انتهج هذا الضرب من التأويل محض انسلاخ عن
الاسلام وتخل عن العقل السليم ، وقد كنا فى غنى عن مناقشة منتهجيه
وراسمى خططه والداعين إليه لفرط بطلانه وشدة سقوطه ولما نعتقده
من أن جهالة هؤلاء الغوغاء ستحول بينهم وبين الرجوع إلى الحق لولا
ما نجد من انصياع الجبهة والذهماء لهذه الترهات والخرافات
ونعود فنقول : إن البابية على اختلاف فرقها ضرب واحد ونسيج
غير مختلف أخذت أصواتها عن الباطنية الذين منهم الاسماعيلية والقرامطة
والدروز والنصيرية فهى تؤله البشر وتأمّر بعبادتهم وتؤول النصوص

تأويلا تتبرأ منه اللغة والدين ، لا ينطبق على معنى الألفاظ العربية ولا سياق الروايات القرآنية ولا مدلولات الكلمات الافرادية . ولا مفهومات الجمل التركيبية مما دل عليه عرف اللسان وجرى عليه أهل اللغة ، بل لا ينطبق على أصول الشرع ، ولا أصول النحو ولا قواعد الصرف ولا فنون البلاغة ولا طرائق النظر والاستنباط ولا أمارات القراءات والدلالات فتأويلهم عاقل باطل من كل الوجوه لا مأخذ له ألبتة من علوم اللغة والدين ولا يقول به إلا كل جاهل مغرور كافر مفتون ، ضال مضل طاغ باغ آثم قلبه لما بدخله الايمان ، ولذا تجد عمداً هذه المدعوة العامة الهدامة يؤثرون المسؤولية في تعبيرهم والاتضاع في تصويرهم والتدلى في لغتهم فهم يبتذنون الاعتزاز بفضيلة اللغة الفصحى ويدعون على غير ما يجب إلى اللغة العامية .

فالباب والبهائم كلاهما ينكر إنكاراً تاماً ما نفهمه نحن المسلمين من معاني الجنة والنار والحشر والنشر وانه قضاة الآجال والنفخ في الصور وبعثرة من في القبور ، ونسف الجبال ، وتزلزل الأرض ، وانفطار السموات ، وانتشار الكواكب ، وتكوير الشمس وظلمة القمر ، واجتماع الشمس والقمر ، وتبديل الأرض والسموات ، إلى غير ذلك من أهوال الساعة وما وراء القيامة مما لا يختلف في مفهومه الرسل

والأنبياء . ولا يناقض بعضهم بعضاً في الدعوة إليه والايان بتحتيم وقوعه وصدق مفاهيمه التي نفهمها . ويزعمان أن للوحى تأويلات سامية . وأسرار غامضة . ومعانى دقيقة . ومفاهيم خفية . لا يحليها إلا ربها وهو الباب على زعم البايين والبهاء على دعوى البهائيين .

وهاك بعض ما قاله فى هذا المعنى داعيهم الأكبر أبو الفضل الجرفادقانى .

قال فى الصفحة ١١٠ وما يليها الى الصفحة ١١٣ من كتاب

الدرر البهية الآنف الذكر ما صورته : لاشك أن فى القرآن المجيد وسائر

الكتب المقدسة السماوية كثيراً من الاخبار عن الامور الآتية مما تنهم

الأمم معرفته ويرتبط به نجاتهم وهلاكهم كمجىء (الساعة) التى عبر

عنها فى كتب الله تعالى بأسماء عظيمة وأوصاف شتى من قبيل : يوم

الله ويوم الرب ، ويوم القيامة ويوم الحسرة ويوم التلاق وأمثالهما

فسرته الأحاديث النبوية بيوم ظهور المهدي (يعنى الباب) وقيام روح

الله (يعنى البهاء) حتى جاء فى الكتاب الكريم ذكر جميع حوادث هذا

اليوم الفخيم ومجىء النبأ العظيم بكلياته وجزئياته . وأشراطه وعلاماته

ومطلعه وميقاته . كما عرفه أهله ، وأدركه حملته . ولا شك أن الاحاطة

بعلم تلك الامور العظيمة المزمعة أن يلبدها الكون والاخبار عنها

مؤرخاً معيناً مشروحاً مفصلاً من أعظم العجائب وأكبر العظامم التى

لا ينكرها إلا الجاهل المكابر أو المجادل المتعنت . إلى أن قال : إن
موهبة فهم تلك الدقائق وإدراك هذه الحقائق من بطون آيات الكتاب
ليست من المواهب العامة والمطالب المكشوفة الظاهرة حتى تدركها
كل نفس ويفهمها كل شخص فتتم الحجة على الكل وتكمل البينة
على الجميع ويصير القرآن من هذه الجهة حجة بالغة ومعجزة دامغة .
كيف لا وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بأن تأويل آياتها أى معانيها
الأصلية المقصودة لا تظهر إلا في اليوم الأخير يعنى يوم قيامة روح
الله ومجيء مظهر أمر الله ، وإشراق آفاق الأرض مشارقها ومغاربها
ببهاء وجه الله ، وقبل مجيئ ذلك اليوم الرهيب العظيم . وقيام الرب
القديم (يعنى البهاء) فالحقائق الأصلية المقصودة من البشارات مستورة
مختومة بختم الله . والابواب دون فهمها مسدودة مردومة بقدرة الله
وقال في الصفحة ٢١٦ وما يليها إلى الصفحة ٢١٩ مانعه : إن
من أمعن النظر في الكتب السماوية مطلقاً يرى أنه مامن كتاب إلا
وفيه قسمان من التعليقات (القسم الأول) الحدود والاحكام التى تحتاج
الإلمة إليها مدة بقائها ويرتبط بها نجاحها ويتوقف على إقامتها فلاحها
(والقسم الثانى) البشارات الواردة فى مجيئ يوم الله ونزول روح
الله وقيام مظهر أمر الله (يريد بذلك البهاء ويوم ظهوره) وهذا اليوم

هو اليوم العظيم الرهيب المهيّب الذي عبر عنه في الكتب السماوية
بتعبيرات شتى وسمى بأسماء عليا من قبيل : يوم الرب ، ويوم
الملسكوت ، ويوم الحسرة ، ويوم التلاق ، والقيامة ، والساعة ،
وأمثالها ، وقد ذكر الانبياء عليهم السلام لمجيء هذا اليوم أشرافاً
وعلامات وشواهد وأمارات ودلائل ومقدمات مما هو مذكور
ومدون في كتب الأولين ومنصوص ومصرح في كلمات الإقدمين .
ثم اعلم أنه وإن كان يستفاد من بعض الكتب أن الانبياء عليهم
السلام من لدن زمن عتيق بجهول الابتداء كانوا يبشرون الناس بمجيء
أمر الله وطلوع فجر يوم الله وزوال ظلمات البدع والاختلافات
والحروب والاحتداد بين عباد الله . إلا أنه بسبب ظلمة التواريخ
القديمة وانقطاع أخبار الملل العتيقة وعمومية إبقاء الآثار العلمية
بسبب فقدان صناعة الطبع والورق وأمثالها في الأزمان الغابرة
وانعدام التعاون والتناصر والتعارف بين القبائل الدائرة لا يمكن
الاطلاع الكافي عما جاء في أخبار الانبياء قبل موسى عليه السلام
إذ لم يبق بينهم كتاب ولم يوجد لهم أثر ليستفيد المستخير من عباراتهم
ويطلع على مقتضى بشاراتهم . فلا يمكن والحالة هذه إلا أن نعتبر
الترواة أول كتاب سماوى يستقى من موارده . ويلتقط المقصود من

شوارده . فلنبتدأ أولاً بذكر آيات التوراة الجليل . وتتبعها بعبارات رسائل أنبياء بنى إسرائيل . ونختتمها بالبشارات الواردة فى الانجيل وتوكل على الله إنه هو نعم المولى ونعم الوكيل . قال الله تبارك وتعالى كما جاء فى الآية الثانية من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية من أسفار التوراة : « جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتللاً من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه قبس الشريعة » فهذه الآية المباركة تدل دلالة واضحة أن بين يدى الساعة وقدام مجيء القيامة لابد من أن يتجلى الله على الخلق أربع مرات ويظهر أربعة ظهورات حتى يكمل مير بنى إسرائيل وينتهى أمرهم إلى الرب الجليل (يريد البهاء) فيجمع شتيتهم من أقصى البلاد ويدفع عنهم أذى كل العباد ويسكنهم فى الأراضى المقدسة ويرجع إليهم مواريثهم القديمة فظهر أولاً بمقتضى هذه الآية الكريمة سيدنا موسى عليه السلام فتجلى الله عليهم بظهوره من جبل سيناء . ثم ظهر ثانياً سيدنا عيسى عليه السلام فتجلى عليهم بظهوره من جبل سعير . ثم ظهر ثالثاً سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فتجلى بظهوره من جبل فاران فدارت الأدوار . وتتابع الليل والنهار . حتى ظهر الرب المختار (يعنى البهاء) وتم الظهور الرابع بأمر الملك العزيز الجبار

وقال في الصفحة ٢٠٥ وما يليها إلى الصفحة ٢١١ ماصورته :
ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية
كما يفهمه ويدركه كل من يعرف اللغة العربية وإلا لم يبق ثم معنى
لقوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله) وقوله : (وكذبوا بما لم يحيطوا
بعلومه) . بل المراد من التأويل هو المعاني الخفية التي أطلق عليها الالفاظ
على سبيل الاستعارة والتشبيه والكناية من أقسام المجاز . ولولا
قصور الناس في الأحقاب الماضية والأيام الخالية عن فهم تلك المعاني
المدقيقة وإدراك تلك المفاهيم السامية لما أخفاها الأنبياء عليهم السلام
تحت ستائر الاستعارات ولما رمزوا عنها بخفي الاشارات والتعبيرات
كما جاء في الاصحاح الثالث عشر من سفر متى . وكان يسوع المسيح
يكلمهم بأمثال لكي يتم ما قيل بالنبي القائل سأفتح فمى بالأمثال وأنطق
بمكتوبات منذ تأسيس العالم . وكما جاء في الفصل السادس عشر من
إنجيل يوحنا أن عيسى عليه السلام قال لتلاميذه : « إن لي أموراً
كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوها الآن وأما
متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق » . وكما جاء في
الحديث أن النبي عليه السلام قال : « بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب
الناس على قدر عقولهم » . وما جاء في البخارى عن علي عليه السلام :

(حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) . ولما كان من المقرر أن العالم مسير إلى نقطة الكمال والأرواح والأفئدة راقية لا محالة إلى رتبة البلوغ والاعتدال ليبلغوا إلى درجة فهم كلمات الأنبياء كما يقتضيه ناموس التقدم والارتقاء . فقد قرر الله تعالى تنزيل تلك الآيات على السنة الأنبياء وبيان معانيها وكشف الستر عن مقاصدها إلى روح الله (يعنى البهاء) حينما ينزل من السماء لتتقوى أفئدة أهل الإيمان بالتغذى من ظواهر الآيات الكريمة وتسير الأمة في أنوار الشرائع القويمة ليتمكن الناس في أثناءها من طي تلك المسافات البعيدة وقطع تلك البرازخ الممتدة في الأجل المسمى والمدة المعلومه . قال الشيخ السهروردي قدس الله روحه في آخر كتاب الهياكل : يجب على المستبصر أن يعتقد صحة النبوات وأن أمثالهم تشير إلى الحقائق كما ورد في المصحف (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) . وكما أنذر بعض النبوات : (إني أريد أن أفتح فمى بالأمثال) . فالتنزيل هو كقول إلى الأنبياء والتأويل والبيان هو كقول إلى المظهر الأعظمى الأنورى الأريحى الفارقليط (يريد به البهاء) كما أنذر المسيح حيث قال : « إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ليعث لكم الفارقليط الذى ينبئكم بالتأويل . وقال : « إن

الفارقليط (يعنى البهاء) الذى يرسله أبى باسمى يعلمكم كل شىء »
وقد أشير إلى ذلك فى المصحف (ثم إن علينا بيانه) و ثم للتراخى
ومما ذكر يعلم أن جميع الأنبياء عليهم السلام من آدم الى الخاتم جاءوا
بتنزيل الآيات المذكورة وإثبات البشارات الماثورة من غير تعرض
ليبان معانيها لما قلنا من ضعف قوى الخلق عن تحمل مقاصدها
وقصورهم عن إدراك مراميها ، وإنما بعثوا عليهم السلام لسوق الخلق
الى النقطة المقصودة واكتفوا منهم بالايان الاجمالى حتى يبالغ الكتاب
أجله وينتهى سير الأفتدة الى رتبة البلوغ فيظهر روح الله الموعود
(يريد به البهاء) ويكشف لهم الحقائق المكنونة فى اليوم فى المشهود
وقد علم أولوا النهى أن أصعب الأمور على العالم البالغ تفهيم القاصرين
عن الادراك ، اذ لو كشفت الحقائق للقاصر عن إدراكها لينكرها
لعجزه عن الفهم وقصوره عن الادراك إلى أن قال : ومن ذلك
يفهم معنى الصعوبة التى كانت تعرض على النبي عليه السلام حين
تلاوة الآيات فانهم كانوا يسألونه عن حقائقها ومعانيها فكان يحرك
شفتيه ويعالج كيفية البيان لصعوبة تفهيم القاصر وكذلك صعوبة
ترك البيان لتلا يحمل على العجز فنزلت الآية الكريمة لا تحرك به
لسانك لتجعل به أى بيان معانيه الخفية وتأويلاته الغامضة (إن

علينا جمعه وقرآنه) كما قدر الله تعالى جمعه بيد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين (ثم إن علينا بيانه) أى حينما تبلغ الأمة بسبب السير فى الشريعة المقدسة الإسلامية الى الدرجة العليا من السكمال وتصير الأفئدة قادرة على إدراك ما هو مكنون فى كتب العزيز المتعال فيتبليج صبح الوصال وينزل الروح (يعنى البهاء) فى غمام الجلال وتنقشع غيوم الضلال ويتجلى عليهم ربهم (يعنى البهاء) فى أبهى حلال الجمال فيبين لهم تأويل الكتاب ويكشف لهم لباب الخطاب ويتم نعمته الله على عباده من كل الأبواب

وقد جهل هذا الزائع الجهل كله . وضرب فى قفار البهتان هائماً على وجه الأغبر . إذ نسب العبث والظلم للإله الحكيم العادل . وأنكر على الشعوب الإنسانية استعدادها وأهليتها لفهم لغائها . والله تعالى أرسل الرسل لئلا تكون للناس عليه الحجة . فدعا كل رسول إلى شريعته مبيناً ما تضمنته من التكليف التى لا تخرج عن الإنابة للخالق بتوحيده وعبادته والأخذ بما أمرهم به فى معاملاتهم الدنيوية . فلو أنه تعالى يريد غير ما يفهمون من كتبه وآياته . لما كان لتلك التكليف معنى ولكان تكليفهم بها عبثاً محضاً .

وإذا قيل : إن هذه إرادته . قلنا : كيف يريد الله ظاهراً غير ما يريد

حقيقة ؟ وكيف يثيب المؤمنين ويعذب الكافرين من الأمم الماضية
لثمارهم أو مخالفتهم ظواهر ليست من مقصوده في تشريعہ ؟ أفلا تقوم
للناس عليه الحجة إذ ذاك ؟ وهلا ينسب إليه الظلم بتعذيب من يعذبهم
بعضيائهم أمورا لا يريدونها في الواقع ونفس الأمر ؟؟؟....

ثم إن المعروف المقرر أن كل رسول يبعثه الله بلسان أمته ،
فاذا نظرنا مثلا إلى الرسول محمد صلوات عليه وعلى آله لو جسدناه
قد أوحى إليه القرآن بلغة العرب . ونزل كتابه أيام كانت الأمة
العربية بالغة أشدها . لا تخفى عليها خافية في معرفة المسميات الوضعية التي
تدل عليها مفردات اللسان العربي ، وقد تحدى الرسول بالقرآن ، وطلب
إلى المعاندين من أهل العربية أن يأتوا بمثله ، أو بمثل سورة منه فكانت
نهايتهم العجز . قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)
ومن المعقول أن التحدى بالمعجز لا يتم إلا إذا كان الطرف المنكر
على استعداد لإدراك المتحدى به حقيقة في الحقائق ، وبجازا في المجاز
وما يتبعه . وإذا علمنا أن القرآن عربي مبين ، وأن الأمة العربية
هي التي يرجع إليها دون سواها في فهم لسانها — ثبت فساد ما ادعاه هذا
المهذار المتهافت : من أن الأمم كانت قاصرة عن إدراك حقائق

الكتب المنزلة . وإلا للزم العبث بالتحدى ، وعدم أهلية الشعوب الإنسانية إلى فهم لغاها ، واللازم باطل ، فيبطل الملزوم .

أما استدلال هذا المارق على صدق افتراءه بقول الله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) فهو من فساد عقله ، وظلمة قلبه . وليس في المسلمين من يجهل أن الآية الكريمة خاصة بالمتشابه من القرآن الذى يوهم ظاهره غير المراد منه ، كقوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم) فانه يوهم بظاهره حمل اليد على العضو المعروف . وقوله تعالى : « ويبقى وجهه ربك » فانه يوهم ظاهراً أن الله وجهاً كوجوه الناس . إلى غير ذلك من الآيات المتشابهة . ومذهب السلف والخلف فى التسليم والتأويل بما يليق بمقام الألوهية مشهور ، وسيأتى الكلام عليه .

ونحن نقول : إن المسئلة لا تحتاج الى تأويل ولا تسليم فى مثل هذه الآيات ، فان الواقف على أسرار اللغة العربية يجد فى أساليبها ومن ضروب بلاغتها ، ما يساعده على فهم المراد من اليد والوجه فى الآيتين الكريمتين . فقد نطق العرب باليد نصاً فى النعمة ، والقدرة ، والقوة . قال شاعرهم :

وحملت زفرات الضحى فأطقتها — ومالى بزفرات العشى يدان
ونطقوا بالوجه صريحاً فى الذات . وحينئذ فالذى نفهمه من قوله تعالى

(يد الله فوق أيديهم) هو الذى نفهمه من قول العرب : يد فلان على فلان فى النعمة والقدرة والقوة ، والذى نفهمه من قوله تعالى : (ويبقى وجه ربك) هو الذى نفهمه من قولهم : (طلع علينا وجه فلان) وقولهم : « هذا وجه الرأى ، أى هو الرأى نفسه ، وبهذا يكون المعنى فى الآية (ويبقى وجه ربك) أى تبقى ذات الله القاهر وليس ثمة شك فى أن من المقرر الثابت فى كل لغة أن ما يتفاهم به أهلها من الألفاظ الدالة على تلك المعانى التى ينصرف إليها الذهن عند تلقف اللفظ — إنما هو ما دل عليه عرف اللغة . وأثبتته اللسان من تلك الألفاظ ومدلولاتها . فلا يخرج اللفظ مفرداً كان أو مركباً عن مفهومه ومعناه بوجه من الوجوه . والا بطل الفهم والتفاهم . وساء حال الناس وكانوا حيارى لا يدرون كيف يتفاهمون . فلا يقال مثلاً « سيف » فيفهم منه « عصا » ولا « ليل » فيفهم « نهار » ولا « نحاس » فيفهم « ذهب » ولا « كتب محمد » فيفهم « قرأ خالد » ولا « بزغ القمر » فيفهم « أشرقت الشمس » ولا « أكل فلان خبزاً » فيفهم « أنه شرب ماء » . فان لكل من هذه الكلمات والجمل معنى خاصاً . ومفهوماً آخر ، بمدلولات الألفاظ التى أثبتتها العرف وقررها الاستعمال ثم إن لكل لغة علومها وفنوناً ذات قواعدها راسخة . وأصول

ثابتة . وضعها أهلها إقامة لوزن اللغة . وإبقاء لساكناتها ومعانيها . ودفعاً
لما عساه أن يتطرق إليها من الخلل والفساد . ويتسرب إلى معانيها
ومبانيها من عبث العابثين وجهل الجاهلين . تسهيلاً لمعرفتها والتفاهم
بعباراتها . والعلم بحقايقها والوقوف على دقائقها وماتحويه من فنون
البلاغة وضروب الفصاحة إلى غير ذلك مما لا يقع حصوله ولا
يمكن بلوغه إلا بتلك العلوم والفنون : كالنحو والصرف والمعاني
والبيان والبديع وما أشبهه مما تحتاج إليه كل لغة من لغات العالم
حسب ما تتحمله طاقاتها وتستلزمه حالتها وتدعو إليه حاجتها فيكون
عصمة للسان والجنان من الغلط والشطط مرجعاً للطالب في تفهم
ما استعصى عليه فهمه من الألفاظ والجل قبائله على الدوام في إقامة
وزن الكلام والاستدلال على معانيه ومبانيه استدلالاً صحيحاً لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإلا فهو مسالك مناهج الشطط
ضارب في وجوه الغلط خابط خبط عشواء في الليلة الظلماء .

فعلى ذلك وجب أن يكون تفسير الآيات القرآنية والأحاديث
النبوية ، أو تأويل معانيها ، أو تبين مفرداتها اللفظية وجملها التركيبية
موافقاً لمدلولات ألفاظ اللغة مفردة كانت أو مركبة ، مطابقة لقواعد
النحو والصرف ، ملائماً لفنون البلاغة من معان وبيان وبديع ، غير

خارج عن ذلك بحال من الأحوال . اللهم إلا ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من مدلولات بعض الالفاظ إلى تلك المفاهيم الشرعية المخصوصة : كيوم القيامة ، واليوم الآخر ، والبعث ، والحشر ، والنشر والجنة ، والنار ، وغير ذلك — فانه يرجع بها إلى هذه المفاهيم قضية مسلمة ، لثبوت رسالته صلى الله عليه وسلم ، وعصمته من الكذب ثم إن علوم القرآن عندنا نحن معشر المسلمين ثلاثة أقسام : قسم استأثر الله به من معرفة كنه ذاته ، وحقائق أسماؤه وعاموم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو ، فلا يجوز لأحد الخوض فيه بوجه من الوجوه إجماعاً . الثاني — ما أطلع نبيه من أسرار كتابه واختصه به ، فلا يجوز الكلام فيه إلا له صلى الله عليه وسلم ، أو لمن أذن له . قيل : وأوائل السور من هذا القسم ، وقيل : من الأول . الثالث — ما علمه الله لنبيه من معاني كتابه الجلية والخفية ، وأمره بتعليمها . فمنه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بالسمع : كاسباب النزول ، والنسخ ، وألفاظ القراءات والقصص ، وأخبار الحوادث الكائنة ، وأمور الحشر والمعاد ، ومن ادعى ذلك بخير تلقى من السمع فهو كذاب آثم . ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من فحوى الكلام أو لمن له أهلية ذلك باتفاق : كالأحكام الأصلية ، والفرعية ، والإعرابية ، وفنون البلاغة ، وضروب المواظ

والحكم . أو باختلاف وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات والفرق شاسع جداً بين التفسير والتأويل ، فالتفسير لغة من النسر وهو البيان والكشف ، ويقال هو مقلوب السفر ، تقول : أسفر الصبح أى أضاء . واصطلاحاً علم يبحث فيه عن عوارض القرآن المجيد من حيث دلالاته على مراد الله تعالى قطعاً أو ظناً بحسب الطاقة البشرية ، ويدخل فى ذلك بيان كيفية النطق بألفاظه ، وبيان مدلولاته الافرادية والتركيبية ، واستخراج أحكامه وحكمه ، وما يتبع ذلك من سبب النزول والنسخ وغيره . وموضوعه القرآن من الخشية المذكورة ، لأن موضوع العلم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ، أو ماله تعلق بالغرض الذاتى . فالمعروض هو الموضوع ، والبحث عن العوارض هو المسائل . فالقضايا التى تبين كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ودلالاتها على معانيها ، ونحو ذلك ، هى مسائله . هذا معنى التفسير لغة واصطلاحاً

أما التأويل لغة فمن الأول وهو الرجوع فكأنه أرجع الآية إلى ما تحتمله من المعانى ، وقيل من الإيالة وهى السياسة فكان المؤول يسوس الكلام ويضعه فى موضعه . وأما اصطلاحاً فيمعنى التفسير عند طائفة منهم أبو عبيدة . وأنكر عليهم آخرون حتى بالغ ابن حبيب

فقال : نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتمدوا إليه . وقال الراغب : التفسير أعم من التأويل لا شتماله في الكتب الإلهية وغيرها ويغلب في الألفاظ والمفردات ، والتأويل خاص بها ويغلب في المعاني والجمال . وقال الماتريدي والقشيري وغيرهما : التفسير في معنى لا يحتمل غيره فهو قطع وشهادة على أن الله عني باللفظ هذا ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بالدليل بلا قطع وشهادة . فالتفسير مقصور على السماع ، فما بين في الكتاب والسنة يسمى تفسيراً ، وليس لأحد أن يتعرض له باجتهاد ولا غيره لأنه من باب الرواية . والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعاني الخطاب فهو من باب الدراية .

ومن أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن ، فما أجمل أو اختصر في موضع فقد بين وبسط في آخر . فان أعياه ذلك طلبه من السنة فانها شارحة للقرآن ومبينة له . فان لم يجده فيها رجع إلى أقوال الصحابة فانهم أدري به لما شاهدوه من القرآن عند نزوله ، ولما اختصروا به من الفهم التام والعمل الصالح . وقد بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل ، ولذلك

كانوا يقيمون في حفظ القرآن مدة طويلة ، وقد أقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمانى سنين كما فى الموطأ

وأطلق الحاكم فى « المستدرک » أن تفسير الصحابى الذى شاهد الوحى له حكم المرفوع أى فكانه رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم لكن قيده فى علوم الحديث بما إذا ذكر فيه سبب النزول ونحوه مما لا مجال للرأى فيه ، وإلا كان من الموقوف ، وعليه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين . وفى المنقول عن التابعى روايتان عن أحمد ، وأكثر المفسرين على قبوله ، لأن الغالب تلقينه عن الصحابة ، ولذا كان الخلاف بين الصحابة فى التفسير قليلا جداً ، وكذلك بين التابعين وإن كان أكثر من الأول . وربما نقل عنهم عبارات مختلفة اللفاظ فيحكيها من لا فهم عنده أقوالاً وليس كذلك ، لأن غالب الخلاف المنقول عنهم يرجع إلى اختلاف عبارة أو تنوع ، لا اختلاف تضاد . ذلك كتفسير (الصراط المستقيم) بالقرآن ، أو الاسلام ، أو طاعة الله ورسوله ، فهى عبارات مختلفة على شىء واحد ، لأن كلا من الطاعة والاسلام هو اتباع القرآن ، لكن ذكر كل منهم صفة من صفاته . وكآية (فمنهم ظالم لنفسه) فسر بعضهم : السابق بمن يصلى أول الوقت ، والمقتصد فى أثنائه ، والظالم بعبد فواته . وبعضهم :

بمؤدى الزكاة المفروضة مع الصدقة ، وبمؤديها وحدها ، وبمانعها .
فذكر كل فرداً من أفراد العام على سبيل التمثيل لا الحصر . فهذا
وأمثاله ليس خلافاً

وقد يرد عنهم تفسيران متضادان لكن القراءتين مختلفتان فيظن
التعارض كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره من طرق في (إنما
سكرت أبصارنا) أى سدت ، ومن طرق بمعنى أخذت . ثم أخرج
عن قتادة : من شدد « سكرت » أراد سدت ، ومن خففها أراد
سحرت ، وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع . وكذا (سرايلهم من
قطسران) أخرج ابن جرير من طريق أنه الذى يدهن به الابل ،
ومن طريق آخر أنه النحاس المذاب . وليس بقولين ، بل الثانى تفسير
لقراءة « قطر » بالتوين وهو النحاس ، و « آن » بالمد شديد الحرارة
ويجب التحرز عما تقل من ذلك ضعيفاً أو مرفوعاً فإنه كثير ، وقد
تكفل علماء الحديث ببيانه

فان لم يجدده (أى التفسير) فى أقوال الصحابة والتابعين رجع
إلى لغة العرب لأن القرآن عربى قال مالك : لا أوتى برجل غير عالم
بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا . والتفسير بمقتضى اللغة
يتوقف على أمور لا بد منها : كمن اللغة المبين مدلولات الالفاظ ،

والنحو لتفسير المعنى بتفسير الاعراب ، والصرف لتعرف أبنية الكلم
وهيغها . قال الزمخشري : من بدع التفسير من قال في قوله تعالى
(يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) إن الناس في الآخرة يدعون بإمامهم
لآبائهم مراعاة لعيسى ، وإظهاراً لفضل الحسن والحسين ، وسترأ
على اولاد الزنى . قال : وهذا غلط فاحش أوجب الجمل بالتصريف
لأن الأم لا تجمع على إمام ، وإنما الامام هنا بمعنى من يؤتم به من
نبي أو مقدم في الدنيا ، فيقال يا أتباع فلان . وقيل : بكتاب
أعمالهم . فيقال : يا أهل كتاب الخير ، أو الشر . وقرأ الحسن بكتابهم
ومما يتوقف عليه التفسير بمقتضى اللغة : علم القراءات ببيان كيفية
النطق بوجوه القرآن وبها يرجع بعض المعاني المحتملة على بعض ،
وعلم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع : وهى أعظم أركان
التفسير لأن إعجازه إنما يعرف بها ، وعلم أسباب النزول والقصص
ليعلم معنى الآية بحسب ما نزلت به ، وعلم النسخ والمنسوخ ليعلم المحكم
من غيره ، وحكم أصول الدين المبين للواجب والجائز والمستحيل ليؤول
الآيات الموهمة ما لا يجوز ، وأصل الفقه لبيان كيفية الاستدلال
واستنباط الأحكام وبه يعرف الظاهر والمجمل العام ، وغير ذلك
أما ما يذكره بعض الصوفية في القرآن من المعاني البعيدة كقول

بعضهم في قوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده) من ذل (من الذل)
ذى (أى النفس) يشف (من الشفاء) ع (من الوعى) ، وقول
آخر في قوله تعالى (إن الله لمع المحسنين) لمع (فعل ماض بمعنى أضاء)
وأمثال ذلك ، فالحداد كما أفقى البلقيني . قال ابن عباس في تفسير قوله
تعالى : (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا) هو أن يوضع
الكلام على غير موضعه . وقال النسفى في عقائده : العدول عن ظواهر
النصوص إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد . قال السعد : سموا
باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بأن لها معانى
باطنية لا يعرفها إلا المعلم ، وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالسكينة ،
وأما إبقاء النصوص على ظواهرها مما دلت عليه بعرف اللسان ومع
ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف عند الآيه أو الحديث
لمن فتح الله قلبه فهو كمال الايمان ومحض العرفان

ومما يحتاج إليه المفسر « علم الموهبة » الذى دعا به النبي صلى الله
عليه وسلم لابن عباس بقوله : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل ،
وليس لك أن تقول : « هذا العلم ليس فى قدرة الانسان تحصيله »
لأن طريقة التزام حدود الشرع فى العلم والعمل كما يشهد به حديث
« من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » . قال الزركشى فى البرهان :

اعلم أنه لا يفهم معاني القرآن ولا تظهر أسرارها لمن في قلبه بدعة ، أو كبر ، أو هوى ، أو حب الدنيا ، أو الاصرار على ذنب ، أو نحو ذلك ، فهذه كلها حجب وموانع ... قال تعالى : (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) . قال ابن عيينة : معناه أنزع عنهم فهم القرآن فهذه مأخذ التفسير وأصوله ، وليس لأحد أن يقدم عليه بمجرد الرأي والاجتهاد بلا أصل يعتمد عليه ، قال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) . وقال صلى الله عليه وسلم : (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) . وروى أبو داود وغيره : (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) أي إذا كان رأياً بلا دليل يعتمد عليه فتكون إصابته اتفاقية لا عبرة بها كالصلاة مع جهل كيفية باطلة وإن صادفت الصحة . أما الرأي المسند إلى دليل ، فجائز بلا نكير . وفقنا الله إلى سواء السبيل ، إنه نعم المولى ونعم النصير

ثم إن كل نص شرعي يجب علينا معشر المسلمين أن نعتد فيه معناه الظاهر المتبادر منه ، ولا يسوغ لنا تأويله وصرفه إلى معنى آخر غير متبادر إلا إذا قام دليل عقلي قطعي يناقض معناه الظاهر ، فحينئذ يكون قيام هذا الدليل قرينة دالة لنا على أن معناه الظاهر غير مراد الشارع بل مراده معنى آخر غير ما يقبدر منه ، فنؤول النص

حينئذ ونصرفه إلى معنى آخر غير الظاهر المتبادر على سبيل الاحتمال
يكون قابلاً له وغير مناقض لذلك الدليل العقلي القطعي
هذه هي القاعدة الكلية التي اعتمدها أهل السنة والجماعة في تأويل
النصوص الشرعية ، لأن الأصل في التخاطب إرادة المعنى الظاهر
المتبادر دون خلافه ، إذ إرادة غير الظاهر من غير داع ولا قرينة يكون
خللاً في الافادة والاستفادة ، وفي ذلك من المفاسد ما لا يخفى . وإنما
انحصر الداعي إلى ترك الظاهر بمعارضة الدليل العقلي المقاطع ، لأن
رفض هذا الدليل رفض للأصل الذي ثبت به صدق الرسول عليه
الصلاة والسلام ، وهو العقل ، إذ لولاه لما أمكننا الاستدلال على
صدقه عليه الصلاة والسلام بدلائل المعجزات ، ورفض العقل
يوجب رفض الشرع

أما معارضة الدليل العقلي الظني فلا تكون داعياً لترك الظاهر من
معنى النص ، لأن رفض الدليل الظني لا يوجب رفض العقل كما
هو واضح ، لاحتمال أن هذا الظن باطل في نفس الأمر . فلو تركنا
الظاهر من النص لأجل الدليل الظني لسكننا في معرض أن يكون
اعتقادنا خطأ لا اعتمادنا على الظن ، وحينئذ لا نعوذ في ذلك ، إذ
لا ضرورة تدعونا إليه كما تدعونا الضرورة عند معارضة الدليل العقلي

القطعي، على أن اتباع الدليل الظني وترك ظواهر النصوص يوجب اختباطاً واختلاطاً في الاعتقاد، فإن الظنون كثيرة، والاعتقاد في الشرائع إنما يعتد فيه اليقين

فالصواب أن يتمسك بظواهر النصوص اليقينية الورد ولا يتحول عنها لمجرد الظنون، إذ لا يجب علينا شرعاً من الاعتقادات إلا ما قام عليه الدليل العقلي القاطع الذي لا يتحمل التقيض، أو ما قام عليه الدليل الشرعي بأن نقل لنا عن الرسول عليه الصلاة والسلام آية قرآنية أو حديث متواتر أو حديث مشهور يدل على ذلك. ولا يجب علينا تقليد غير الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام فيما ثبت عنه قطعياً أما إذا نقلت لنا مسألة اعتقادية عن أكبر علماء الأمة الإسلامية من غير إظهار دليلها العقلي القاطع، أو دليلها الشرعي الثابت قطعياً عن الرسول عليه الصلاة والسلام، فلا يجب علينا تقليده في تلك المسألة، لاسيما إذا كانت مناقضة لظاهر من ظواهر النصوص الشرعية التي تعتمد في الاعتقاد. نعم إذا أول بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في فهم النصوص الشرعية بعض تلك النصوص بتأويل مناسب موافق للقواعد الشرعية والأصول العربية فالأخذ بتأويله سائغ غير مضر في عقيدتنا. وإذا ظهر لتأويله داع قوي مثل الدليل العقلي

القاطع الذى يحمل على التأويل وصرف النص عن ظاهر معناه فانه حينئذ يكون الاخذ بتأويله هو الصواب . ولا يقال إننا قلدنا ذلك العالم فى الاعتقاد ، وإنما يكون اعتقادنا معتمداً على النص ، وقلدناه فى فهم النص وتأويله ، لأنه هو أعلم منا بذلك

فمن هنا يظهر لك خطأ بعض المسلمين من أهل هذا العصر فى تقليد : فلان الفيلسوف ، أو فلان الجغرافى ، أو الجيولوجى ، المشهورين فى فنونهم : فى بعض مسائل ربما تكون مخالفة لظواهر نصوص الشريعة التى تعتمد فى الاعتقاد . فهذا الحال ربما يوقع هؤلاء المقلدين فى الخروج من الدين والعباد بالله وهم لا يشعرون . بل يسهل لهم الاعتقاد بما يزعجه الباطنيون من هذا القبيل فيحشرونهم فى زميرتهم يعبدون البشر من دون الله . قال تعالى : (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون)

والذى يوقع أولئك المقلدين فى تقليد هؤلاء الناس فى تلك المسائل أنهم وجدوا أدلتهم فى بعض مسائل فنونهم يقينية قطعية كأدلتهم فى المسائل الحسابية ، والهندسية ، وبعض التجربات الطبيعية المحسوسة فانغثروا بهم ، وأوقعهم الوهم فى اعتقاد أن كل ما يقوله أولئك الناس يقينى الثبوت ، وأنهم لا يعتمدون فى أدلتهم فى جميع فنونهم إلا على

اليقين . ولم يدروا أن هناك فرقاً بين أدلة المسائل الحسابية وما ذكر معها وبين أدلة كثير من المسائل الفلكية . فإن تلك يقينية ، وهذه قد يوجد بينها كثير من الظنون والتخمينات ، وقياس الغائب على الشاهد الذي قد يكون في نفس الأمر قياساً فاسداً

فإن قيل : إن بعض تلك المسائل التي يقلد بها المقلدون أولئك الناس تكون مجمعة عليها عندهم . قلنا : إنا معشر المسلمين لسنا مأمورين في شريعتنا بتقليد إجماع إلا إجماع هذه الأمة المحمدية ، أعني إجماع علمائها الذين هم أهل الاجتهاد وفهم نصوص الشريعة ، فقد شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم : أنهم لا يجتمعون على ضلالة . على أن إجماع هؤلاء الناس على بعض تلك المسائل قد يكون مبنيّاً على دليل ظني فلا يفيد عصمة إجماعهم من الخطأ ، لا سيما في المسائل التي تكون بعيدة الموضوعات عنهم ، كما في المسائل الفلكية والجوية ، فإن معظم أدلتهم فيها الحدس والتخمين . وقياس الغائب على الشاهد . كما يعلم من الاطلاع على كتبهم التي تقررت فيها تلك المسائل . ولنا عبر فيما حدث على مذهب المتقدمين من الفلكيين في وجود الأفلak . وما لها من الأحكام . فانه قد مرت عليه الحثات من السنين وهم مجمعون عليه . وكم ألفوا فيه من الكتب . وكم دونوا من الأصول والقواعد . وكم صوروا

صور الافلاك ، وذكروا لها من الاحكام الطويلة العريضة ، فجاء المتأخرون وأبطلوه من أصله ، وصار يعد بينهم خرافة من خرافات البشر إذا تقرر هذا فاعلم أنه كان من حق أولئك المقلدين لهؤلاء الناس في بعض المسائل المخالفة لظواهر نصوص الشريعة الإسلامية - أن يبحثوا عن أدلتهم فيها . ويطلعوا عليها ، فإن كانت ظنية فلا يلقون لها بالاً ، ولا يتركون الاعتقاد بظواهر النصوص القطعية الثبوت عن رسولهم الصادق المعصوم . وإن كانت أدلة يقينية ، ولم يبق معها ريب في دلالتها على ما يناقض ظواهر النصوص الشرعية ، فحينئذ يسوغ لهم تأويل تلك الظواهر ، والتوفيق بينها وبين تلك المسائل مثال ذلك . قال تعالى في قصة ذي القرنين : (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) فان ظاهره أن الشمس تغرب في عين من عيون الأرض ، وكان يجب علينا الايمان بمعناه الظاهر ، لكن قام الدليل العقلي القاطع على أن الشمس أكبر من الأرض بكثير ، ودخول الجسم الكبير في الصغير مع البقاء على مقدارهما محال . وقام الدليل القاطع أيضاً على أن الشمس لا تغرب في نفس الأرض . لذلك صرف علماء الاسلام هذا النص عن ظاهره إلى غير ما يتبادر منه ، فقالوا : يحتمل والله أعلم بمراده أنه تعالى أراد أن

ذا القرنين لما بلغ ذلك المكان من بلاد المغرب وجد الشمس بحسب رؤية الرائي تغرب في عين حمئة ، وليس مراده أنها تغرب في عين بالفعل . ولذلك قال : وجدها تغرب . ولم يقل : فإذا هي تغرب ، أو ما في معناه من العبارات التي تفيد حكاية واقع الأمر نصاً . وهكذا يقول الرجل منا : إني من المكان الفلاني وجدت الشمس تغرب في البحر ، أو خلف الجبل ، أو في الوادي ، واعتقاده أنها لم تغرب في واحد ومنها ، وإنما حكى صورة رؤيته . يؤخذ هذا التأويل من الرازي والجلالين ، والكوشى ، كما نقله عجائب المخلوقات . قال الرازي : وما قاله أهل الأخيار من أن الشمس حقيقة تغرب في العين كلام على خلاف اليقين ، وكلام الله تعالى مبرأ من هذه التهمة ، فلم تبق إلا أن يصار إلى التأويل ، اهـ

أما نكران هؤلاء الفلكيين لوجود السموات السبع ، والعرش ، والكرسى ، والقلم ، واللوح ، والجنة ، والنار ، فهذا ليس لديهم دليل عليه ، إلا أنهم ما وجدوا هذه الأشياء ولا رأوها بمجاهرهم (أى نظاراتهم المعظمة) ونقول : إن عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود في نفس الأمر ، وهذا مسلم عند جميع العقلاء ، فانكارهم لا يعجباً به ثم إننا وإياهم متفقون على وجود الفضاء الذي لا يتناهى ، فما المانع من

أن الله تعالى خلق تلك الأجسام وراء عالم الكواكب بعد تسليم أن الكواكب قائمة في الفضاء ، وتلك الأجسام تكون بعيدة عنا بمسافات شاسعة لا تدركها مجاهرهم ؟؟ فهم لم يروا إلا جسمية الكواكب ولم يتحققوا سواها . فأنكروا تلك الأجسام وهي موجودة في الفضاء الواسع الشاسع . وبما أن ذلك جائز عقلاً داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى بأن يخلق تلك الأجسام ويقومها في ذلك الفضاء كما أقام الكواكب ، وقد أخبر بوجودها الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم فنحن نؤمن بوجودها ، وليس لنا تأويل نصوصها الواردة فيها ، إذ لا داعي لذلك ، لعدم قيام دليل قاطع يناقض وجودها . ومجرد إنكار أولئك القوم ليس دليلاً ظنياً فضلاً عن أن يكون يقينياً . أما إنكار البايين لهذه الأجسام ، وتأويلهم نصوصها الشرعية بما ياباه الدين واللسان ، فهو زور وباطل . وجدل عاطل . بل كفر وضلال . وهو س وخيال . وها هي حججنا ناطقة بأفكم . وبراهيننا قاطعة ألسنة بهتهم (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل)

وقد ورد في نصوص الشريعة الغسراء نسبة أشياء لله تعالى توهم ظواهرها مماثلته للحوادث ومشابهته لها ، وسميت هذه النصوص

بالمتشابهات . على أن الدليل العقلي قد قام على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته لها ، كما قام بذلك الدليل النقلى أيضاً . قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . فالاعتقاد فى تلك النصوص أن لها معانى صحيحة تليق به تعالى خالية عن استلزام مماثلته للحوادث ، وليست هى المعانى المتبادرة من ظواهر تلك النصوص المستلزمة للمماثلة ، ونفوض علم حقيقة تلك المعانى الصحيحة إليه تعالى ، فنكون بذلك الاعتقاد منزهين لذاته العلية عن مماثلة الحوادث ومفوضين له فى علم ما أراد من تلك النصوص . هذا كان اعتقاد السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم

لكن لما ظهر بعض الفرق المبتدعة وتمسكوا بظواهر تلك النصوص المتشابهات ، واعتقدوا المعانى المتبادرة منها المستلزمة للمماثلته تعالى للحوادث ، وخيف على اعتقاد بعض الضعفاء فى الدين من سريان بدعتهم إليه — تأول العلماء المتأخرون هذه النصوص المتشابهات تاويلات مناسبة موافقة للأدلة العقلية على ما ذكر فى كتب التفاسير وشروح الأحاديث . وهم فى تلك التأويلات عند التصدير لرد مذهب المبتدعة ، أو تثبيت عقيدة الضعفاء ، كأنهم يقولون : مادامت تلك النصوص المتشابهات محتملة لمعان صحيحة ، موافقة للأدلة

العقلية ، جارية على قواعد اللغة العربية ، فبالحمل عليها احتمالا يحصل التوفيق بينها وبين الأدلة الدالة على وجوب مخالفتها تعالى للحوادث ، واستحالة مما ثلته لها ، ونسلم من اعتقاد ما ربما يخرج به المرء عن الايمان والعياذ بالله

وبيان الطريقتين في ذلك أنه ورد قوله تعالى في القرآن المجيد (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (ويبقى وجه ربك) وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالى (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) وقوله تعالى (وجاء ربك) إلى غير ذلك من الآيات . وورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام (إن الله خلق آدم على صورته) وقوله عليه الصلاة والسلام (ينزل ربكم إلى سماء الدنيا) إلى غير ذلك من الأحاديث

فالطريق الأسلم الذي درج عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أن نقول في هذه النصوص : إن لها معاني غير ما يتبادر منها ، وهي صحيحة موافقة للأدلة العقلية والنقلية الدالة على وجوب مخالفتها تعالى للحوادث ، وإنا نؤمن بها ، ونفرض معرفة حقيقتها إلى علم الله تعالى — وهذا القدر يكفي في صحة الايمان — فاستواءه تعالى على العرش هو صفة من صفاته تعالى لا ثقة به ليس كاستواء الحادث

المستلزم للجسمية والجهة ، والنزول إلى سماء الدنيا صفة من صفاته تعالى اللاتقية به ليس كنزول الحادث المستلزم الانتقال من حين إلى حين ، والمجىء كذلك . ونقول أيضاً : إن له تعالى يداً ويميناً وقبضة ليست كأعضائنا ، بل هي على ما تليق به سبحانه لا تستلزم التجزؤ والمقدار ، وهو سبحانه أعلم بحقيقة تلك المعاني التي أرادها من تلك النصوص . وهكذا القول في كل نص متشابه

أما إذا تصدينا لرد مذهب المبتدعة ، أو أردنا تثبيت عقيدة الضعفاء في الدين ، فنقول على طريق التأويل : إن تلك النصوص تحمل معاني غير ما يتبادر منها لا تستلزم مماثلته للحوادث ، وبالحمل عليها توافق الأدلة العقلية والنقلية الدالة على تنزيه تعالى عن المماثلة ، ونأمن بذلك من الخطأ في الاعتقاد الذي ربما يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله

فلاستواء على العرش ، محمول على : الاستيلاء والقهر : كما قال الشاعر : قد استوى بشر على العراق : أي استولى . والمراد بذلك بيان عظمته تعالى ، ونفوذ حكمته على كل شيء من هذا العالم

والنزول إلى سماء الدنيا ، يراد به : الاقبال على عبادته : وقد ورد في اللغة ، النزول بمعنى الاقبال . فالمعنى : أن الله تعالى يقبل على عبادته في ذلك الحين . فعبّر عن هذا الاقبال ، بالنزول إلى سماء الدنيا

والجنى ، هو الاقبال أيضاً ، وأن المراد : وجاء أمر ربك وسلطانه
والوجه ، يطلق ويراد به الذات . فقوله : ويبقى وجه ربك :
أى وتبقى ذات الله

والصورة ، تطلق ويراد بها : الشأن ، والحكم ، والأمر . نقل
الشعراني في (البواقيت والجواهر) عن (الفتوحات) للشيخ الأكبر
أن المراد هنا بالصورة أن الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه يأمر
وينهى ويعزل ويولى ويؤاخذ ويسامح ويرحم ونحو ذلك لكونه
خليفة في الارض إذ الصورة تطلق ويراد بها الشأن والحكم والأمر
أى أن الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره تعالى ما شاء الله له فهذا هو
معنى الصورة إه . ثم نقل عن الجلال السيوطي : أن الحديث وارد
على سبب ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصاً
يلطم مملوكه على وجهه فقال (لا تفعل هذا فان الله خلق آدم على صورته -
أى صورة المملوك - فيذبحى لك إكرام صورته . إه

واليد ، تطلق ويراد بها : النعمة ، والقوة ، والقدرة . قال الشاعر
وحملت زفرات الضحى فأطقتها ومالى بزفرات العشى يدان
فالمفهوم من قوله عز وجل (يد الله فوق أيديهم) هو ما نفهمه
من قول العرب : يد فلان على فلان فى النعمة والقوة والقدرة

وكذلك - القبضه ، واليمين ، في قوله تعالى : (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فقد نظر العقل بما يقتضيه الوضع فعرف من وضع اللسان العربي أن معنى الآية ، إن الوجود كله في قبضته تعالى يعني تحت تصرفه . كما يقال : فلان في قبضة يدي ، يريد أنه تحت حكمه ، وليس في يد جارحته منه شيء ألبته وإنما أمره وحكمه ماض فيه لا غير ، مثل حكمه على ماله سكتة يده حسا و قبضت عليه فلما استحال الجارحة على الله تعالى عدل العقل إلى روح القبضه ومعناها وفائدتها ، وهو أن عالم الدنيا والآخرة في قبضه تصرف الحق تعالى . وأما قوله « بيمينه » فأنما ذكرها لأن اليمين محل التصريف المطلق القوى ، إذ اليسار لا تقوى في العادة قوة اليمين ، فكفى باليمين عن التمكن من الطي ، فهو إشارة إلى تمكن القدرة من الفعل اهـ . قاله الشيخ الأكبر وهكذا التأويل في كل ما ورد من المتشابهات ، فليس شيء منها إلا وجدله العلماء تأويلاً موافقاً للأدلة العقلية على قانون اللغة العربية ، وقد أفردوا لذلك كتباً تكفلت ببيانها ، فليرجع إليها من شاء ، والله الهادي إلى سواء السبيل إذا تقرر ما حققناه من أن الفهم والتفاهم في كل لغة موقوفان على ما دلت عليه ألفاظها المفردة أو المركبة من تلك المعاني والمفاهيم التي ينصرف إليها الذهن عند تلقف الكلمة أو الجملة على ما قرره اللسان

وأثبتته الاستعمال . وأن لكل لغة قواعد وأصولاً حسب ما تحتمله
طاقاتها ، وتستلزمه حالتها ، تكون عصمة للسان والجنان ، مرجعاً
للطالب فيما استعصى عليه إدراكه من المعاني والمفاهيم . وأن تفسير
القرآن ، أو تأويل متشابهاته ، أو ما يتعارض ظاهره مع الدليل العقلي
القاطع — إنما يكون موافقاً لمدلولات الألفاظ العربية مفردة كانت أو
مركبة ، مطابقاً لقواعد اللغة وأصولها ، ملائماً لقانونها وعلومها ،
إلا ما كان تلقيه بالسمع : كأحوال القيامة ، واليوم الآخر ، والبحث
والحشر والنشر ، والجنة ، والنار ، والصراط ، والميزان ، وغير ذلك مما
بينه المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فإنه يرجع به إلى مفاهيمه الشرعية
قضية مسلمة ، ومن يدعى غير ذلك فهو كذاب أشر ، مختلق مبتدع ،
ضال مضل ، آثم قلبه ، كافر بالله ورسوله ، يضرب بقوله عرض الحائط
إذا تقرر هذا . وما أوضحناه من الفرق بين التفسير والتأويل .
ومعنى كل منهما ، وكيفية الأخذ بهما ، ومصادرها التي يرجع إليها ،
وأن العدول عن ظواهر النصوص إلى معان باطنة كفر وإلحاد ، ونفى
للشريعة بالكلية ، إلى غير ذلك مما حققناه وقررة أئمة الدين ، وجرى
عليه المسلمون خلفاً عن سلف منذ نزول القرآن إلى هذا الزمان — تقرر
ولا شك كفر البايين على اختلاف فرقهم ، وبطلان ما يزعمونه من

تلك المعاني الباطنة في القرآن وغيره من الكتب المنزلة ، وقامت عليهم الحجة البالغة بفساد أديانهم ، وهدمها على هامات رؤسهم وفي مقدمتهم الجرفادقاني اللعين الطريد المهين الشريد كبير دعاةهم

والذي يضحك النائحة الشكل من أمر هذا المتفريق الأعمى

ادعاه أن عيسى عليه السلام بشر بربه البهاء في قوله : « إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ليعث لكم الفارقليط الذي ينبئكم بالتأويل » . وقوله : « إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء » . ومع أنه نقل هاتين الآيتين بتحريف نصهما عما في الإنجيل ، فقد ادعى زوراً وبهتاناً أن الفارقليط البهاء ، ولم يخجل أو يستحي من جماعة المسلمين الذين أقاموا الحجة على النصارى باثبات أن الفارقليط هو سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يشهد بذلك الواقفون على أسرار اللغات الذين حققوا أن كلمة الفارقليط أو البارقليط كلمة تطلق في اللغة اليونانية على ما تطلق عليه كلمة محمد في اللغة العربية ، وإليك البيان .

جاء في الصفحة الثامنة والثلاثين إلى الثالثة والأربعين من كتاب

(السيوف البتارة) لمؤلفه المحقق المدقق محمد افندي حبيب معلم اللغة

الانجليزية والعبرانية وصاحب مكتبة (برج بابل) ما نصه :

إن الحكيم جلت قدرته لما أرسل الرسل تفضلاً منه ورحمة ،

اقتضت حكمته سبحانه أن يضع للجنس للبشرى أحكاماً تلائم نمو عقله تدريجاً على حسب الزمان والتهيؤ والاستعداد ، فكانت شريعة آدم عليه السلام أبسط الشرائع وأقلها اتساعاً لمجيئها في زمن طفولية النوع البشرى . ثم أخذ ينمو في زمن نوح وغيره إلى زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فاتسعت مداركه شيئاً فشيئاً ، وشب شباباً حسناً ، حتى جاءت شريعة موسى في إبان شبابه ، وتوفر قريحته ، فكانت أوسع من سابقتها لملاءمة عصرها التقدمي . ثم جاءت شريعة عيسى صلى الله عليه وسلم ، في آخر أمر بني إسرائيل . وكل هذه الشرائع لم تغير شيئاً مما قبلها من الأصول : كتوحيد الخالق والاعتراف بصفاته السكالية ، وتنزهه عن النقائص ، والجنة ، والنار ، واليوم الآخر ، والحساب ، وإيجاب الصلاة والصوم ، وتحريم الزنى ، وقتل النفس بغير حق ، والسرقه ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في جميع الشرائع الالهية ، وإنما كان تغيير بعض الفروع بالنسخ لحاجة الزمان والمكان ، واستعداد القوي الباطنية . ولما لم يكن عيسى عليه السلام آخر رسول ، لم يبلغ الناس إلا ما يحتاجونه في ذلك الوقت ، وأخبر عليه صلوات الله وتسليماته : أن بقية ما يحتاجه النوع البشرى من الارشاد ، وكشف الحقائق ، والحكم والأحكام ، سيظهر على يد رسول غيره

اسمه بيركلطس (البارقليط) وهذا اللفظ باليوناني معناه محمد . وذلك ينطبق كل الانطباق على قوله تعالى في سورة الاعراف : (الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يحدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) . وقد صرح بذلك السيد المسيح غير مرة للحواريين رضى الله عنهم وأرضاهم . منها قوله فى العدد السابع من الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا : لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطق لأنه إن لم أنطق لا يأتىكم بيركلطس ولكن إن ذهبت أرسله إليكم إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم) . فظهر من قول السيد المسيح نفسه حسب ما جاء فى الانجيل المسمى بانجيل يوحنا ، أنه لم يخبر بكافة الحقائق لعدم استعداد البشر لها فى ذاك الوقت ، إنما لم يقل إن الذى يجرى بعده يغير شيئاً من الاصول التى منها : أن

الله واحد ، وأن عيسى عبد الله ورسوله . بل قال : إنه يمجدي ،
ويأخذ مما هولى ، ويخبركم . فجاءت شريعة سيدنا ومولانا محمد رسول
الله مصدقة لصحف إبراهيم وموسى والتوراة والزبور والانجيل
وزادت من الأحكام والحكم والارشاد والحدود والعبادات ما كان
محبوفاً عن نبي الانسان فى الأزمان الأولى لوصولهم وقت بعثة محمد
عليه الصلاة والسلام إلى نهاية سلم الكمال العقلى والاستعداد
الفطرى . وما يؤيد ذلك أطوار المعجزة الدالة على صدق الأنبياء
ووجودها ملائمة فى كل زمان لدرجة عقول من احتاجوا إليها
من الأمم . فلما كان السحر آخذاً مأخذه فى قوم موسى ، وغالباً
عليهم ، جاءت معجزاته صلى الله عليه ناحية هذا المنحى ،
لاعجاز السحرة فى ذلك الوقت . ولما كانت الطبيعيات والفلسفة حين
مبعث عيسى عليه السلام متمكنة من العقول بتأثير أفكار الرومان
واليونان إذ ذاك على اليهود ، جاءت معجزاته خارقة لنواميس الطبيعة ،
داحضة للشبهات السفسطية ، والخزعبلات الخيالية . وحينما بلغت العقول
حد النهاية فى الاستنارة ، ووقفت على حقائق الأمور ، واتسعت
المدارك إلى غاية ليس بعدها غاية وقت إرسال سيد الخلق ، وخاتم
النبيين ، محمد صلى الله عليه وسلم — لم يكن يتمكن فى أذهان البشر

حينئذ إلا البلاغات العالية ، وأساليب البراعة ، وجوامع الكلم ، ونوابغ الحكم . فجاءت معجزاته صلى الله عليه وسلم وخصوصاً القرآن الكريم من هذه الجهة البلاغية ، فأعجب الفصحاء ، وأخرس الخطباء ، وسجدت لوجوه إعجازه فطاحل الشعراء ، حتى لم يتجرأ أحد على مجاراته فضلاً عن معارضته . هذا مع بلوغهم في الفصاحة مبلغاً لم يسبقوا إليه ، وإن يلحقوا فيه ، وتهالكهم وحرصهم على مقاومته ومحاربتة بما وصل إليه وسعهم من القوى والاستعداد وما يشهد لأصحابه صلى الله عليه وسلم بسمو مكانتهم العقلية ، ما أظهره بعدئذ من سياسة الملك ، وتنسيق الجنود ، وفتح البلاد ، ونشر لواء الأمن وحفظ الشريعة ، وغير ذلك مما أدهش المؤرخين الباحثين المدققين أما غيرهم من أصحاب باقي الرسل فلم تظهر لهم بعد رسالتهم نتائج كبيرة شاهدة لهم بعلو المدارك . فيؤخذ مما تقدم ، وبما يمكن لكل مدقق أن يستنتجه من غير تردد :

أولاً — ان الرسل جاءت إثر بعضها بشرائع غير متناقضة أصولاً لكونهم مبلغين عن إله واحد . أما الخلاف في بعض فروع الشرائع فإنه لازم بسبب تغير النوع البشرى وترقيته التدريجي ثانياً — ان المتأخر من الشرائع أوسع من المتقدم ، وأن مجيء

آخر رسول لا يكون إلا في زمن وصول العقول والأخلاق إلى حد الكمال . وهذا من معاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . ويلزم من هذا أن تكون شريعته عامة رحمة لكل حتى لا تبقى أمة غير متمتعة بحقوق هذه الشريعة الكاملة ، وأن تكون باقية ما بقي الليل والنهار ، وإلا ضل بنو آدم في آخر الأزمان ، وانقطعت العبادة لوقيل بنسخ الشريعة الأخيرة فظهر أن إرسال آخر رسول يكون في وقت تمام سمو المداك ، وبلوغ العقول إلى آخر نقطة كالية . ويجب أن يبقى شرعه حتى آخر لحظة من رمق الدنيا ، ناسخاً لما قبله من الشرائع ، للاستغناء عنها بهذا الشرع الجامع الصالح لكل زمان ومكان بقواعده العامة المندرج فيها ما كان وما يكون من الأحكام حتى قيام الساعة . أما لو كان الأمر على خلاف ذلك ، وانفرد بعض الأمم بشرائع خصوصية ، اسكانت من جهة غير ملائمة لزمن الشريعة الأخيرة الكاملة ، ومن جهة يلزم التفريق بين الشعوب بسبب اختلاف الشرائع في عصر واحد ، واستلزم أن الشارع أمر بالبغضاء والشقاق ، وهذا محال . ومن البديهي أن هذه الشريعة الأخيرة لا تبقى إلا إذا بقي كتابها سالماً من التحريف ، مصوناً عن التبديل . ولذلك تكفل الله سبحانه بحفظه

قَالَ : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فحفظ كما نزل حتى يومنا هذا ، فضلاً عن كون الأمانة التي أوصلته لباقي الأمم أمية . أما الكتب السماوية الأخرى فانها بدلت وغيّرت مع كون القراءة والكتابة غالبية في أهم أصحابها خصوصاً أمة عيسى عليه السلام . ولا غرابة في هذا فان شرائعهم آيل أمرها إلى النسخ لسكون رسلهم لم يكونوا آخر من أرسل لبني الانسان

وقال في الصفحة الثانية والستين والتي تليها ما نصه - : ولذلك ثبت عدم صحة الترجمة (يعني ترجمة الاناجيل) في عدة مواضع مهمة ، منها : أنهم ترجموا اسم النبي الذي يحى بعد عيسى ، المعنون عنه في التوراة باسم حمدوت ، بلفظ باركلطس الذي معناه المعزى ، أى مطمئن القلوب ، مع أن الترجمة الحقيقية هي بيركلطس . وهذا اللفظ يؤدي وحده معنى حمدوت العبراني ، ومحمد المذكور في إنجيل برنابا ، وأحمد المذكور في قوله تعالى : (وهبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) . لأن المعروف بداهة ، المسلم من غير نزاع ، أن السيد المسيح نطق بلفظ حمدوت العبرى ، لا بلفظ يوناني ، إذ لغته ولغة الحواريين لم تكن إلا العبرانية . فمنشأ هذا الخلط الذي أدى إلى عدم اطمئنان قلوب ماعدا المسلمين ، هو حرف واحد أتى به مترجم غير معصوم

(راجع كتاب إظهار الحق الجزء الثاني وجه ٥٦١) . هذا وإذا كان مترجموها الأصليون كترجميها إلى العربية في عدم التضاع من اللغة لكفى ذلك دليلاً على التساهل في أمرها ، لأن النسخ المترجمة إلى العربي المتداولة الآن لو وضعت بإزاء بعض الروايات (كألف ليلة وليلة مثلاً) لكانت من جهة الأسلوب والذوق دونها بمراحل ، وقال في الصفحة الحادية عشرة إلى الثالثة عشرة من رسالة له تسمى (مصادر المسيحية وأصول النصرانية) مانصه : ومن الغرائب الجديدة أن أحد العلماء الانجليز المدعو EDOIN JOHNSON إدون جنسن كتب كتاباً كبيراً اسمه THE RISE OF CHRISTIANDOM (نشأه الديانة المسيحية) زعم فيه أن الأناجيل مأخوذة من الديانة الإسلامية ، لأنه لما وجد أن علماء أوربا يختلفون في صحة كل كلمة من التوراة والانجيل من جهة النقل قام بمذهب جديد هو : أن الأناجيل ملئت بالآفكار الإسلامية ، ونقل إليها كثير من الأشياء التي في القرآن ، ومن ضمنها الكلام على محمد صلى الله عليه وسلم فصار النزاع بينه وبين المسلمين أنه يقول : إن هذه الكلمة (يعنى بيركلطس) دخلت في الانجيل بعد القرآن . والمسلمون يقولون : إنها كانت في الانجيل الأصلي طبقاً للآية (وإذا قال عيسى بن مريم

للهواريين يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) . وهذا العالم الانجليزى يقول : إن دين اليهود كان تقريباً ثلاثى قبل ظهور الاسلام ، ودين النصارى كان منه مبادئ طفيفة فى وسط الممالك الأروبية حتى كأنه قطعة سكر فى البحر الملح . فلما ظهر الاسلام قوى اليهود قوة كبير ، وصار علماءهم يكتبون باللغة العربية ، واكتسبوا أموراً كثيرة من الاسلام حتى أحيوا دينهم بواسطة العلوم الاسلامية ، لأن مبادئ الأديان الحقة الثلاثة كلها واحد ، وصاروا سبباً فى نشر الأفكار الاسلامية فى أوربا بصيغة إسرائيلية . فلما حصل التهديد بواسطة اليهود ، قامت الرهبان لتقوية النصرانية ، وأدخلوا فى الانجيل أشياء كثيرة إسلامية أخذت من الاسلام حتى فى السياسة . فمنها : أن صار البابا مثل الخليفة عند المسلمين فى كيفية انتخابه . وكثير من مسائل أخرى أخذت من الاسلام . ونقول : إن هؤلاء الرهبان كانوا فى إيطاليا الجنوبية والوسطى ، وبالأخص فى دير (مونتوكاسينو MONTE CASSINO) الذى سماه أهل الذكر من علماء أوربا بطور سيدنا المسيحى الجديدة إذ ظهر فيه الوحي الباباوى — على ما يزعمون — . وهذا الدير قريب من روما . ف هؤلاء الرهبان على رأيه كان حوالىهم مستعمرات

إسلامية تحتاط بهم مساجدها من كل جهة . فعلى زعم هذا الكاتب أخذ رهبان إيطاليا وخصوصاً رهبان دير (مونتوكاسينو) كثيراً من القرآن ، وحشوا إنجيلهم بكثير من المبادئ الإسلامية . وهذا الرجل ينسب الأوربيين إلى أن دينهم مأخوذ من أصلين : أصل روماني قديم ، وأصل إسلامي . أما الأصل الروماني فمعه أن للآله ابناً هو عبارة عن رملس بن ريا سليفيا ابنة أحد الأمراء . ورياض هذه نذرت العفة وانخرطت في سلك العذارى المقييات في هيكل الالهة (فستا) وعبادتها ، ولم يعرفها رجل على زعمهم . ولما كانت في الهيكل جاءها معبودهم مارس (المريخ) إله الحرب ، فحبلت منه ، وولدت رملس مؤسس المملكة الرومانية . وقد ثبتت هذه الفكرة عند الرومانيين مدة تقرب من ألف سنة ، وانتشرت في جميع الأمم التي خضعت للرومان . فلما دخل سكان المملكة الرومانية في الديانة المسيحية ، وعلموا أن المسيح نشأ من العذراء بكيفية إعجازية ، استسهلوا أن يضاهوه برملس ، فجعلوه ابن الآله . أما المسائل الإسلامية التي في الإنجيل على رأى هذا الكاتب فهي كثيرة من ضمنها البيركلطس فانهم على فكره لا يمكنهم أن ينكروا أن لفظ بيركلطس معناه محمد وأنهم أدخلوا هذه الكلمة في الأناجيل جهلاً منهم . وقد تكلم في هذا

الموضوع في الصفحة ٢٣٣ من هذا الكتاب المطبوع في مطبعة (كيجن

بول وشركائه الكتيبة في لندن) KEGAN PAUL

وقال الشيخ الامام أبو الفضل المالكي المسعودي تغمده الله
برحمته في الصفحة ١٤٦ إلى الصفحة ١٤٨ من كتابه (المنتخب الجليل،
من تخجيل من حرف الانجيل) تحت عنوان (فصل في البارقليط) مانصه
قال يوحنا الانجيلي في الفصل الخامس عشر من إنجيله : « قال
يسوع إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي يعلمكم كل شيء
وقال يوحنا التلميذ : « قال يسوع لتلاميذه إن كنتم تحبوني فاحفظوا
وصاياي وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم
إلى الأبد روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه
ولست أدعكم أيتاماً لأنني سأتيكم عن قريب » . وقال يوحنا أيضاً :
« قال المسيح من يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه وإليه يأتي وعنده
يتخذ المنزلة كلمتكم بهذا لأنني عندكم مقيم والفارقليط روح القدس الذي
يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلت لكم أستودعكم
سلاهي لا تفارق قلوبكم ولا تفرحوا فاني منطلق وعائد إليكم لو كنتم
تحبوني كنتم تفرحون بمضيي إلى الآب فان أنتم ثبتتم في وثبت كلامي
فيكم كان لكم كل ما تريدون وبهذا يمجد أبي » . وقال يوحنا أيضاً

فى الفصل السادس عشر من إنجيله : « قال المسيح إن خيراً لكم
أن أنطلق لأنى إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط فاذا انطلقت أرسلته
إليكم فاذا جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة وإن لى كلاماً كثيراً أريد
أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق ذاك
الذى يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم
بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للآب . » فانظر
أرشدك الله إلى هذه الجمل ، وما فيها من الفارقليط الذى هو روح
الحق ، وتاره روح القدس المعلم كل شىء ، وهو محمد رسول الله . لأن
النصارى اختلفوا فى تفسيرها على أقوال : فقليل إنه الحماد ، وقيل
الحامد ، وقيل المخلص . فان فرعنا عليه فهو مخلص الأمم من العذاب ،
ومن الكفر والمعاصى . وقال المسيح : « إنى لم آت لأدين العالم بل
لأخلص العالم فآله . يرسل مخلصاً آخر » فهو قد ذكره بلفظ المضارع .
وقال : « فارقليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد » فشريعتة باقية إلى
الأبد ، وليس ذلك سوى نبينا صلى الله عليه وسلم . وإن كان على
حماد وحامد ، فذلك اشتقاق اسمه عليه الصلاة والسلام فالنصارى إما
أن يعترفوا به عليه السلام ، وإما أن يقولوا : إن المسيح أخلف وعده ،
وتركهم أيتاماً بغير نبي ، ولم يأتهم عن قريب . وبعض النصارى يزعمون

أن الفارقليط إشارة إلى ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا
الآيات والعجائب . وذلك خلاف ما أخبر به المسيح ، لأنه يقول :
« فارقليطا آخر ، وذلك فيه إشارة إلى أول تقدم لهم ، والألسن لم
يتقدم مجيئها . ثم ذلك كذب من قائله ، لأن التلاميذ امتحنوا ،
وقتلوا تقتيلا ، وعذبوا بأنواع العذاب ، فما أيديهم نار نزلت ، ولا
نبتهم آية ظهرت . فقد وضح أن الموعود به على لسان المسيح ، هو
سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي لم يطق العالم
أن يقبلوه ، لأنهم لم يعرفوه ، لما يغلب عليهم من عبادة الأصنام ،
وتعظيم الصلبان ، وتسجير النيران ، وعلى ذلك تألفت قلوبهم . فلذلك
لم يقبلوه ، لأنهم لم يعرفوه ، وقد أتى لهم بما لا يألفونه ، (و تراهم
ينظرون إليك وهم لا يبصرون) . وفي الحقيقة ما آمن به إلا من رآه
فأشده الله من نبوته ما هدى به قلبه إليه وأما من لم يره ، لم يؤمن به ،
لأنه لم يعرفه ، وأتى له بما لم يألفه . وقوله : « فإن أنتم ثبتتم في وثبت
كلامي فيكم كان لكم كل ما تريدون وبهذا يمجدا أبي » . فأخبرهم أنهم إن ثبتوا
على ما أمرهم في تعظيم هذا المخلص الثاني ، والنزام أو أمره ونواهيته ،
والحث على اتباعه ، كان لهم ما أرادوا . ونظيره (ولو أن أهل
الكتاب آمنوا واتقوا لسكفنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات

النبيهم ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم
لا كانوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) . وذلك مما يدفع الشكوك
عن أمته في مجيء المخلص لهم بعده ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ،
وعن ضعفاء اليقين من هذه الأمة ، لأنه إذا اتصل بهم شهادة الأنبياء
قبله به ، وبنبوته ورسالته إلى سائر الأمم ، قوى يقينهم ، وثبت دينهم .
وأما من لم يؤثر عنده شهادة المسيح ، ولم يقابل بشراه بعقل ذكي
وفهم صحيح ، فهم المرادون بقول الكتاب العزيز : (أفمن حق عليه
كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) ، وقد قال بطرس صاحب
المسيح : « لقد كان خيراً لهم ألا يعرفوا طريق الحق من أن يعرفوه
ثم ينصرفوا إلى خلافة » . وقوله : « إذا جاء روح الحق ذاك الذي
يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده » هو كقوله تعالى :
(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) وقوله : « إنه يوحى
العالم على الخطيئة » فيوحي المجوس على عبادة النار ، واليهود على عبادة
العزير ، والنصارى على عبادة الثالوث ، والصابئة على عبادة الكواكب ،
والكفار على عبادة الأوثان . وقوله : (هو الخبير بكل ما يأتي) فقد
أخبرنا بأشراط الساعة ، وما يأتي من أسبابها ، وما يأتي من الفتح المبين ،
على يد أمته المؤمنين . قال البوصيري :

بينته توراتكم والأناجيه ل وهم في جهوده شركاء
 إن يقولوا بينته فما ذا لت بها عن قلوبهم عشواء
 من هو الفارقليط والمنحمناء وبالحق تشهد الخصماء
 أخبركم جبال فاران عنه مثل ما أخبر تكمو سيناء
 وأتاكم من المهيمن قعد يس وسوكم أخبرت به الأنبياء
 وصفت أرضه نبوة شعيا فاسمعوا ما يقوله شعيا
 أرض بدو عطشى حكمت أرض لبنا ن لقد ناسب الرواة الرؤاء
 عرفوه وأنكروه وظلماء كنتمه الشهادة الشهاداء
 أو نور الآله تطفئه الآف واه وهو الذي به يستضاء
 ((قلت)) — يتضح جلياً من كل ما تقدم (أولاً) أن البارقليط
 أو الفارقليط هو ذلك اللفظ اليوناني (بيركلطس) ومعناه محمد
 (ثانياً) أنه لا ينصرف بوجه من الوجوه إلى البهاء كما يزعم هو وشيعته ،
 ولا إلى المسيح أو روح القدس أو ألسنه النيران كما يزعم النصارى ،
 بل ينصرف بكل المعاني إلى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
 (ثالثاً) تحريف كتب النصارى ومزاعم الفرنجة في مصادرهما . (رابعاً)
 أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وآخر المرسلين ، وأن الخليفة
 السهلة السميحة آخر ما ينزل على بشر من السماء ، وأنها باقية إلى الأبد ،

كافلة بمصالح الناس حتى قيام الساعة . (خامساً) ان دين البهائم ليس ديناً قيمياً سماوياً لمخالفته القرآن ، ومعارضته ما جاء به الرسل من توحيد الله تعالى ، وتنزيهه عن العيوب والنقائص ، والايمان به وحده لا شريك له ، والتصديق باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب ، إلى غير ذلك مما يقرره الوحي في كل زمان ومكان ، فهو كذاب أشمر ، متقول على الله ، فمن آمن به ، وصدق بكذبه ، فمأواه معه في سقر ، وبئس المستقر . (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

والآن يجدر بنا وقد انتهينا من تفنيد مدعيات هذا العنيد أن نلم هذا المامة بالأدلة العقلية التي تثبت المعاد الجسماني وإمكان حصوله ، لأننا نرى هذا الخبيث يلف ويدور في طرق متعرجة ملتوية ليصل إلى إثبات استحالة ، فنقول وبالله التوفيق وبه الهداية لأقوم طريق

بحث في أصل المعاد

إعلم أنه اختلف الناس في أصل المعاد ، فذهب الطبيعيون إلى أنه لا معاد للإنسان أصلاً ونحاً نحوهم الدهرية والملاحدة ، وفيه تكذيب للعقل على ما قرره المحققون من أهل الفلسفة والشرع على ما بينه المحققون

من أهل الملة ، وتوقف جالينوس فيه لتردده في أن النفس هل هو المزاج فيفنى بالموت ولا يعاد ، أم جوهر باق بعد الموت فيعاد ، واتفق المحققون من الفلاسفة والملايين على حقيقة الأدلة الواضحة وذلك لأنه من الممكنات ، فان ذلك المعاد بضم الميم أعنى الانسان إما أن يكون عبارة عن النفس أو عن البدن ، فان كان الأول فحيث كان تعلقها بالبدن في المرة الأولى جائزاً كان تعلقها به في المرة الثانية كذلك ، سواء قلنا إنه جسم لطيف مشاكل للبدن مصون عن التحلل والتبدل أو قلنا إنه جوهر مجرد ، وإن كان الثاني فحيث كان تألف البدن بتلك الأجزاء على الوجه المخصوص في المرة الأولى كان ممكناً فيجب أن يكون في المرة الثانية كذلك ، وأيضاً فان إله العالم عالم بجميع الجزئيات والأجزاء فيمكنه تمييز بعضها عن بعض فأجزاء بدن زيد وإن اختلطت بأجزاء التراب والبحار وغيرهما ، يمكنه تمييز بعضها عن بعض وإذجاز تركيبها في الأول ، وجب أن يكون جائزاً في الثاني ، وهو تعالى قادر مختار ، ولا علة موجبة ، وقدرته عامة لجميع الممكنات فثبت أن الحشر والنشر يمكن في نفسه ، وإذ كان ممكناً ودل الدليل على صدق الأنبياء وقد قطعوا بوقوعه فوجب القطع بحصوله ، وقال الفخر الرازى في تفسيره : من الأدلة العقلية على المعاد ، أنه قد دلت

الأدلة على أن العالم حادث ، فلا بد له من محدث قادر ، ويجب أن يكون عالماً ، لأن العقل المحكم لا يصدر إلا من عالم ، ويجب أن يكون غنياً عن العالم ، وإلا كان خلقها في الازل فثبت أنه عالم حكيم غنى ، ثم نقول هذا الحكيم الغنى هل يجوز أن يهمل عبيده ويتركهم سدى ، أى فيستوى فيهم الخبيث والطيب والطائع والعاصي ، ويجوز لهم أن يكفروا به ويكذبوا عليه وأن يشتموه ويأكلوا نعمته ويحسدوا ربوبيته ويجعلوا له أنداداً ، فبديهة العقل تحكم بأن ذلك لا يليق إلا بالسفيه الجاهل البعيد عن العقل والحكمة القريب من العبت ، وحينئذ نحكم بأن له أمراً ونهياً وتكليفاً وحداً محدوداً ، ثم نتأمل فنقول : هل يجوز أن يكون له أمر ونهى من غير أن يكون له وعد ووعد فلا فائدة حينئذ للتكليف فيكون عبثاً غير جائز ، فثبت أنه لا بد من وعد ووعد وحينئذ يقال هل يجوز أن لا يفي بوعدده ولا بوعيده ، فإن قلنا نعم فلا فائدة فيها حينئذ ، لعدم الوثوق بها فاذن لا بد من الثواب والعقاب ، ثم نظر فنجد ذلك غير حاصل في الدنيا ، فعلينا أنه لا بد من بعث وحشر بعد الموت إذ مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فمذهبه مقدمات يتعلق بعضها ببعض كالسلسلة متى صح بعضها صح كلها ومتى فسد بعضها فسد كلها فدللت مشاهدة أبصارنا لهذه التغيرات في هذا العالم على حدوثه

ودل حدوثه على وجود صانعه الغنى عما سواه ودل ذلك على وجود الأمر والنهي ودل ذلك على الثواب والعقاب ودل ذلك على وجود الحشر فان لم يثبت الحشر أدى ذلك إلى بطلان جميع المقدمات المذكورة ولزم إنكار المعلوم بداهة ، فثبت البعث ليتوصل المحسن إلى ثواب إحسانه والمسيء إلى عقابه وإلا لم يكن وعد ولا وعيد وإن لم يكونا لم يكن أمر ولا نهى فلم تحصل الآلية فلم تكن هذه التغيرات في العالم وقد أشار تعالى لذلك بقوله : • ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، الآية وهذا برهان من يعطل أفعال الله برعاية المصالح ، وأما الفريق الذين لا يعطلون أفعاله تعالى بذلك فاستدلوا على جواز الإعادة بأن الأصل فيما لا دليل على وجوبه وامتناعه هو ألا مكان بناء على ما قاله الحكماء إن كل ما قرع سمعك من الغرائب فذره في بقعة الامكان ما لم يردك عنه قائم البرهان ، فمن ادعى عدم إعادة المعدوم فعليه الدليل . اهـ ونقل هذا اللقائى فى كبيره وأقره .

وقد كان المشركون فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام يوردون الشبه على القول بالبعث ، ويقولون كيف يحيى الله الموتى بعد مفارقتهم الحياة وفنائهم وتفرق أجزائهم بين أجزاء الارض ، فكان القرآن الكريم يرد عليهم تلك الشبه فى آيات كثيرة بما معناه :

بما معناه : ان الله تعالى تام القدرة ، كامل العلم ، لا يعجزه شيء منها
كان عظيماً ، ولا يخفى على علمه شيء منها كان دقيقاً خفياً ، والذي أوجد
الكائنات من العدم بذلك الاتقان والاحكام هو قادر على إعادة
الأموات بعد الفناء وإحيائهم للحساب والجزاء ، ويضرب لهم
الأمثال التي تقرب ذلك لعقولهم بأن الله تعالى يحيي الأرض بعد
موتها بانزال المطر عليها ، فتصبح مخضرة مزهرة بهجة بعد أن كانت
قاحلة يابسة لا يرى فيها أثر للحياة ، إلى غير ذلك من الأمثال التي ترفع
عنهم شبه البعث التي قامت عندهم ، كقوله تعالى في سورة ق المسكية (ق ،
والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون
هذا شيء عجيب * أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد * قد علمنا ما
تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ * بل كذبوا بالحق لما جاءهم
فهم في أمر مريج * أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيناها وما لها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي
وأنبثنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا
من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات
طماطع نصيد * رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج * كذبت
قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان

لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع ، كل كذب الرسل فحق وعيد
أفعمينا بالخلق الأول ؟ بل هم في لبس من خلق جديد)

هم يستبعدون البعث والاعادة فيقول لهم : لقد خلقنا ما هو
أعظم ، أفلم تنظروا إلى السماء فوقكم كيف بنيناها ؟ وإلى الأرض
تحتكم كيف مدناها ؟ ثم قال انظروا إلى الماء كيف تجريه إلى أرض
قاحلة لا زرع فيها ولا حياة فمنحيها به ، فتخرج جنات وحب الخصيد ،
كذلك الخروج ، خروجكم من أجداثكم ، ثم قال (أفعمينا بالخلق الأول
بل هم في لبس من خلق جديد) أفعجزنا عن خلقكم أولا حتى تنكروا
خلقكم ثانياً ، من قدر على البده فهو قادر على الاعادة ، بل هي عليه أهون
وقوله تعالى في سورة سبأ المسكية (وقال الذين كفروا هل ندلكم
على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ؟ أفترى على
الله كذباً أم به جنة ؟ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد ، أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض
إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في
ذلك لآية لكل منيب)

فهم يعيدون الشبهة ويعيد عليهم الحجة بالأساليب المختلفة ولقد أبرز
هذه الحاجة في صورة تبين خذلانهم وإغلامهم ولجاجهم وهروبهم من

الحجة حين أقامها عليهم إلى شيء لم يكن موضع جدال ولا وقعت فيه خصومة

وقوله تعالى في سورة الاسراء المسكية . (قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعبدنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة ، فسينفضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً)

يقول : قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما ترونها عظمياً لا يلين للطالبين ، ويمجز القادرين ، فسيقولون من يعبدنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة ، فالذي خلقكم أولاً يعيدكم ثانياً ، فسيحركون إليكم رؤوسهم عجزاً واستخذاءً ، ويهربون من الحجة إذا بهرت ، ومن البيئة إذا سطعت ، ويقولون متى هو ؟ أتجدون أم تهزلون ؟ هل كان النزاع في متى هو أم كان النزاع في استحالة ؟ ولكن الله لم يشأ إعنائهم فقال لنبيه (قل عسى أن يكون قريباً)

وقوله تعالى في سورة القيامة المسكية . (أيعسى الإنسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من منى يميني ، ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) ؟ بلى هو قادر

وقوله تعالى في سورة يس المسكية . (أو لم ير الانسان أنا خلقناه
من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال
من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو
بكل خلق عليم » الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم
منه توقدون » أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على
أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن
يقول له كن فيكون ، ف سبحانه الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه
ترجعون) ما أبلغ قوله ونسى خلقه !! أى لو ذكر خلقه لما أنكر
الاعادة ، وهذا كما تقول لمن أحسنت ، إليه وجحد الاحسان : أتجحدني
إحسانى إليك ، وتلنى الشيا ب التي عليك ؟

ولما كان تعذر الاعادة إنما يكون لقصور علمه ، أو قصور
قدرته ، بين أنه لا جهل عند من هو بكل شيء عليم ، ولا عجز عند
من خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن .

وليكن هذا آخر ما يسر الحق تعالى كتابته رداً لمزاعم هذه الفرقة الهالكه
بالتكبر عن الصراط المستقيم وادعاء أنها عليه . (وليعلم) أن من لم
تهزه النخوة الاسلاميه والغيرة الدينية للذب عن دينه ومعتقده تجاه
المبتدع المارق فهو مجرد من النخوة والغيرة بل هو سىء السيرة

والسورية ومن لم يتبع الحق إذا الحق له تبين وظهر ولم يسلم بمصدق
الانقياد لما شرعه سيد البشر صلى الله عليه وسلم فهو رضيع ثدى
الحزى والوبال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، وما نحن عملا بالنخوة
الاسلامية والغيرة الدينية قد اتدبنا بهذه الرسالة المباركة للذب عن
ديننا ومعتقدنا ، ولكن بلسان الشرع لا بلسان النفس وأخذاً بالأمر
لا أخذاً بالهوى ، والحق أحق بالتابع ، والأمر الشرعى عند من يؤمن
بالله ورَسُوله العظيم عليه أفضل الصلوة والسلام
يسمع ويطاع ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم وسلام
على المرسلين والحمد لله
رب العالمين

سيظهر قريباً للمؤلف

كتاب

تفسير معجزة انشقاق القمر

بحسب ناموس الجازبية العامة

والدفع الكوني

ويطلب من مؤلفه بالعنوان الآتي :

دار نشر الثقافة العربية الإسلامية

ش ٢٤ الشيخ قمر بالسكا كيني

استدراك

جاء في صفحة — ع — مانصه « القاديانية البهائية » وهو خطأ وصوابه :
« القاديانية والبهائية » . ورقمنا الصفحة المقابلة لصورة السيد الكتاني بحرف
— ك — وهو خطأ وصوابه — ي —